الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعـــــة منتـــوري – قسنطينـــة

كلية الآداب و اللغات

قســم اللغة العربية و آدابـــها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم

ظاهرة الغلو في الشعر العربي القديم

دوافعها و نتائجها

أبو نواس - المتنبي - ابن هانئ الأندلسي

دراسة بلاغية نفسية

إعـــــــــداد الطالبـــــــة
أمـــــال حليتيـــم

تحت إشراف الأستاذ الدكتور
الربعي بن سـلامه

لجنـــــة المناقشـــــة

• الأستاذ الدكتور		جامعة	رئـــــــــيسا
• الأستاذ الدكتور	الربعي بن سلامه	جامعة منتـــوري ، قسنطينة	مشرفا و مقررا
• الأستاذ الدكتور		جامعة	عضـــوا مناقشا
• الأستاذ الدكتور		جامعة	عضـــوا مناقشا

سنـــــة 2003 / 2004

الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

« شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم »

أل عمران ، الآية 18

المقدمة

عندما قرأت شعر قيس بن الخطيم الذي يقول فيه :

ضربته في الملتــقي ضربة فزال عن منكبه الكاهـــل

فصار ما بينهما فجـــــوة يمشي بها الرامح و النابـل

أدركت أنه شعر مختلف ، فيه شئ ما يثير الحواس ، فهو ليس شعرا عاديا يصف البطولة ويتغنى بالأمجاد ، ومدى قوة الشاعر و تصميمه على الأخذ بالثأر من قاتلي أبيه و جده.

لكنني عندما اطلعت على شروحه و تعاليق النقاد عليه ، تبين لي أن لهم نظرة مختلفة ، فهم يخضعونه لمقياس العقل و العادة ؛ فالعقل البشري لا يتصور ضربة سيف تفصل الكاهل عن المنكب ، تبعده عنه في قوة ، تاركة فراغا يسمح للرامح و النابل أن يمرا بينهما ، كما أن العادة لم تثبت ذلك أيضا. فهذا من الشعر الذي يقولون عنه ما لا يقبل لا عقلا و لا عادة ، أو يقولون عنه أفرط قائله ، و أحال ، أو غلا ، أو تجاوز المقدار ، أو في أحسن الأحوال خرج عن طريق الشعر أو عن عموده.

وتساءلت هنا ، إذا لم يكن هذا هو الشعر، فما هو الشعر إذن ؟ هل الشاعر مجرد مؤرخ ينقل الوقائع بتجرد كما هي بالفعل دون أن يكون لإحساسه معنى أو وجود ؟

قيس بن الخطيم في صورته السابقة لم يكن يصّور ما حدث فعلا بل كان يصور ما تمنى حدوثه ، ليشفي غليله من القاتل. وعند العودة إلى الوراء ، إلى رواد الشعر عند العرب يظهر جليا أن شعرهم لم يكن مجرد نقل حرفي للواقع ؛ إمرؤ القيس الذي فتح باب الشعر ، لم تكن صوره أبدا من النوع التقريري بل على العكس ، كان حافلا بالأحاسيس ، حتى أنه غلا في بعض صوره كقوله :

كأن غلامي إذا علا حـال متنه على ظهر طير في السماء محلق

وكذلك زهير بن أبي سلمى الذي كان ينقح شعره حولا كاملا ، قال :

أو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهــم أو مجـــدهم قعـــــدوا

وللنابغة الذبياني ناقد العصر الجاهلي صورة تنسب للغلو ، فيقول :

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصـــــفاح نار الحباحب

لكن رغم هذا فقد كثر هذا اللون من الشعر في العصر العباسي ، بل يمكن القول أنه أصبح علامة مميزة لبعض شعرائه كأبي نواس الحسن بن هانئ ، أبي الطيب المتنبي ، أبي العلاء المعري و أخيرا ابن هانئ الأندلسي ؛ فالعديد من النقاد قدامى و محدثين أكدوا على هذه الأسماء.

و هذه الملاحظة كانت حافزا لاختيار الموضوع ، فلا بد من وجود أسباب دفعت هؤلاء الشعراء للإكثار من الغلو ليكون ظاهرة مميزة لهم عن باقي معاصريهم ؛ هذا من جهة ، أما من الجهة المقابلة فمعظم الدراسات النقدية التي تناولت الغلو كانت دراسات بلاغية مدرسية تكرر نفس التعريف ، ونفس الشواهد ، ماعدا دراسات حديثة متميزة أكدت أهمية الغلو في بعث الحياة في الصور الشعرية و المسحة الجمالية التي يضفيها عليها. فالـدكتور الأخضر عيكوس فـي رسالته للماجستير و أطروحته للدكتوراه كان رائدا في هذا المجال ، رغم أن الرسالة كانت خاصة بالصورة الشعرية عامة و الأطروحة خاصة بالبديع

كـكل كما أن دراسة د/ منير سلطان المعنونة البديع تأصيل تجديد ، كانت جد مهمة لي في توضيح معالم البحث. كما حاولت الاعتماد على أكبر قدر ممكن و متوافر من الدراسات القديمة و الحديثة ، ليكون للبحث مجال أوسع و نظرة أشمل لظاهرة الغلو. لكن المشكلة التي واجهتني بهذا الخصـــوص، ليس انعدام المراجع بل تطابقها أحيانا ، خصوصا القديمة منها فمعظمها ينقل نفس النص ، و كأنها في أحيان كثيرة صورة طبق الأصل. أما من الناحية التطبيقية على الشعراء ، فابن هانئ الأندلسي كان أكثرهم صعوبة ، فديوانه غير مشروح ، و لغته صعبة مع انتشار إيماءاته المذهبية الخاصة و كذلك قلة الدراسات الخاصة به. لكن ورغم كل هذا فقد كان الموضوع مغريا إلى حد ما فهو سيتيح لي الاطلاع على قسم كبير من التراث النقدي العربي ، و الدراسات الحديثة كذلك و قد كان منهج البحث في بدايتــه تاريخيا عند عرض تعريف الغلو و مواقف النقاد منه ، ثم كان تحليليا تطبيقا نفسيا في القسم الآخر منه .و هذا التعدد كان لابد منه للإلمام بجوانب الموضوع المختلفة.

و قد قسمت البحث إلى مدخل و ثلاثة فصول ، تناولت في المدخل ثلاث نقاط :

- الأولى : تعريف الغلو ، حاولت الإلمام فيه بالجانبين اللغوي و الاصطلاحي.
- الثانية : تناولت فيها بعض المصطلحات التي لها علاقة بالغلو.
- الثالثة :كانت خاصة بموقف الدين من الغلو.

أما الفصل الأول فكان فصلا تمهيديا خاصا بمواقف النقاد من هذه الظاهرة.

و أما الفصل الثاني فقد أفردته للدراسة البلاغية ، حيث تناولت فيه أسباب الغلو عند شعراء العصر العباسي عموما و نظرة أرســطو له ، كما حاولت إبراز جماليات الغلو مع التركيز على الشعراء موضوع الدراسة.

أما الفصل الثالث و الأخير فقد خصصته للدراسة النفسية حيث درست كل شاعر على حده ، و حاولت أن أكشف الأسباب التى دفعت به إلى ركوب مطية الغلو ، وإلى أيّ مدى كان غلوه مقبولا شعريا.

كما ألحقت بالبحث ملحقا خاصا بأبيات الغلو عند كل شاعر ، و انهيت البحث بخاتمة سجلت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج أو سجلته من ملاحظات عامة أو خاصة بكل واحد من شعراء الدراسة.

و إذا كنت لا أستطيع أن أزعم بأنني قد أتيت بما لم يستطعه الأوائل ، فإنني أطمح إلى أن يكون هذا الجهد قد أضاف شيئا جديدا أو نبّه إلى موضوع يمكن أن يستوفى بالدراسة من قبل باحثين أكثر إلماما و كفاءة.

و إذا كان لابد أن أختم هذه المقدمة بكلمة ، فإنني أرى أن من واجبي و أنا أقف هذا الموقف أن أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث ، أو شجعني و لو بكلمة طيبة ؛ وأخص بالذكر هنا أستاذي المشرف الدكتور الربعي بن سلامة.

أمال حليتيم

مدخل

1. تعريف الغلو
   - لغة
   - اصطلاحا
2. مصطلحات لها علاقة بالغلو
3. الغلو و الدين

للغلو معنيان على الأقل، أحدهما لغوي وهو المعنى الأصلي أو الأولي وثانيهما اصطلاحي، وسأحاول التعريف بكليهما بايجاز:

أولا : تعريف الغلو :

- لغـــــــة :

اتفق اللغويون على أن الغلو " ارتفاع الشيء و مجاوزة الحد فيه " ، و كل المعاني الأخرى تتصل بهذا الأصل[1] ، ففي لسان العرب : " و يقال غاليت صداق المرأة أي أغليته ، و منه قول عمر رضي الله عنه : لا تغالوا صدقات النســـــــاء ، و في رواية في صدقاتهن ، أي لا تبالغوا في كثرة الصـــــداق ، و أصـــــــل الغلاء الارتفاع و مجاوزة القدر في كل شيء ... و قال بعضهم غلوت في الأمر غلوا و غلانية و غلانيا إذا جـــــاوزت فيه الحد و أفرطت فيه " [2]

و لا يخرج تاج العروس عن هذا المعنى ففيه : " و غلا في الأمر غلوا كسمو من باب قعد : جاوز حده "[3]

و كذلك الأمر في محيط المحيط : " و الغلو في الأصل مجاوزة الحد و باقي المعاني متفرعة منه "[4]

- اصطلاحا :

لا يخرج التعريف البلاغي للغلو عن المعنى اللغوي " الغلو تجاوز حد المعنى إلى غاية لا يكاد يبلغها "[5]. و تبرز مشكلة حد المعنى الذي يتجاوز في الغلو ، رغم أن التعريف الجامع المانع يحاول تحديده بما لا يكون ممكنا عادة و لا عقلا[6]. لكن الأمر ليس بهذه السهولة و البساطة و لا يمكن لهذا التعريف أن يخضع للمنطق ، فمن خلال استعراض تعاريف النقاد و تطبيقاتهم الشعرية يبدو الأمر مختلفا ، فابن قتيبة (ت 276 هـ) يتحدث عن تعظيم العرب لموت رجل منهم فيقولون : " أظلمت الشمس له ، و كسف القمر لفقده ، و بكته البرق و الريح و الســماء و الأرض ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة به و أنها

---

[1] ابن دريد. أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي المصري : جمهرة اللغة ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد لصاحبها محمد الرجب ، ط 1 – 1351 هـــ مادة " غ ل و " .

[2] ابن منظور الإفريقي : لسان العرب ، دار صادر ، دار بيروت 1956 م / 1375 هـــ : مادة " غلا " .

[3] الزبيدي،محمد مرتضى:
تاج العروس من جواهر القاموس،منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ط1306/1هـــ مادة غلا

[4] البستاني، المعلم بطرس : محيط المحيط ، مكتبة لبنان – بيروت 1977 ص 665 مادة " غلا "

[5] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت 1406 هـــ - 1986 م ص 357 .

[6] المراغي، أحمد مصطفى : علوم البلاغة : البيان والمعاني والبديع ، دار إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ط 10 على الغلاف الخارجي ط 5 في داخل الكتاب 1992 ص 315 .
- عتيق عبد العزيز : في البلاغة العربية : علم المعاني ، البيان ، البديع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، دون تاريخ ص 523 .
- الأسمر راجي : علوم البلاغة ، الموسوعة الثقافية العامة ، إشراف د. اميل يعقوب ، دار الجيل– بيروت 1420 هـــ/ 1999 م ط 1 ص 151 .
- حسين عبد القادر : فن البديع ، دار الشروق ، دون تاريخ ص 86 .
- الهاشمي السيد أحمد : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، مطبعة السعادة – مصر 1350 هـــ / 1931 م ص 299 .

قد شملت و عمت "[1] ، فبكاء السماء و الأرض و إظلام الشمس أمر مستحيل عقلا و عادة لا نقاش. أما عن حديثه عن الشعر فيكتفي بتجاوز المقدار ، و كان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفن و ينسبها إلى الإفراط و تجاوز المقدار "[2] ، و إن كنت سأبين فيما بعد أن الإفراط و الغلو في البلاغة العربية مترادفان ؛ فقد بقي تجاوز المقدار غير محـــدد لكن ذكر له بيت النابغة الذبياني[3] :

تقد السلو في المضاعف نسجه و توقد بالصفاح نار الحباحب

فالسيف لا يمكن له أن يقطع الدرع المضاعف نسجه و فارسها حتى تصل الأرض فتوري النار إذا أصابت الحجارة ، فهذا ما لا يقع لا عادة و لا عقلا.

أما المبرد (ت 285 هـ) فيبدو تعريفه صارما أكثر " فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي : هو كالبحر ، و للشجاع هو كالأسد ، و للشريف سما حتى بلغ النجم "[4] فهذه تشبيهات متداولة لا أثر للإفراط فيها ، لكنه يبدو مصرا ؛ فقد أورد قصة على لسان عمران بن حطان و زوجته ، فقد قيل : " أن امرأة عمران بن حطان قالت له : أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قط ! قال : أو فعلت ؟ قالت : أنت القائل :

فهناك مجزأة بن ثـــور كان أشجع من أسامة

أفيكون رجل أشجع من الأسد؟[5] "

و حكمه على المثالين واحد ، فعبارة : " هو كالأسد " مفرطة كعبارة " أشجع من أسامة " دون تفريق بين الحدين عكس عبد القاهـــر الجرجاني الذي فرق بينهما " فإذا شبه بالأســـد ألقى بصورة الشجاعة بين عينيه و ألقى ما عداها فلم ينظر إليه ، فإن هو قال " زيد كالأسد " كان قد أثبت له حظا ظاهرا في الشجاعة و لم يخرج عن الإقتصاد ، و إذا قال " هو كالأسد " تناهى في الدعوى إما قريبا من المحق لفرط بسالة الرجل و إما متجوزا في القول فجعله بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد و لا يعدم منها شيئا "[6] فزيد كالأسد لا إفراط فيه و لا خروج عن الإقتصاد و يقرن المبرد للبيت السابق أبياتا أكثر غلوا لأبي دلف القاسم بن عيسى[7] :

له همـــم لا منتـــــــهى لكبارها و همته الصغرى أجـــل من الدهر
له راحـــة لو أن معشـــار جودها على البر صار البر أندى من البحر
و لو أن خلق الله في مسك فارس و بـــــارزه كان الخلي من العمـــر

---

[1] ابن قتيبة ،أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة 1954 ص 127 .

[2] المرجع نفسه ص 131 .

[3] النابغة الذبياني،زياد بن عمرو:الديوان،شرح عبد الرحمان المصطاوي،دار المعرفة بيروت،دون تاريخ ص36

[4] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل ، علق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، دون تاريخ الجزء 3 ص 128 .

[5] نفسه الجزء 3 ص 128 .

[6] الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 231 .

[7] المبرد : الكامل الجزء 3 ص 128 .

" و فيما يبدو من الصور التي قدمها الشاعر ، أنه تعدى مرحلة المبالغة في وصف الشجاعة إلى تقديم نموذج خرافي لشجاعة ممدوحة "[1]
و يظهر من كل هذا أن المبرد لم يعط الغلو تعريفا محددا و إنما يشمل عنده أبسط تجاوز إلى الإفراط الظاهر.

يكتفي ابن المعتز (ت 296 هـ) بإيراد جملة من الأمثلة لما سماه الإفراط في الصفة دون تعريف محدد كقول إبراهيم بن العباس الصولي[2] :

يا أخـــا لم أر في النـــــــاس خلا مثله أســـــــــــرع هجرا و وصلا
كنت لي في صدر يومي صديق فعلى عهـــــــــــدك أمسيت أم لا

فالصديق الذي يكـــون صباحا صديقا ثم يتغير وده مســـــــــاء يمكن أن يحدث و لا يخضع هذا المثال لمقيـــــاس " المستحيل عقلا و عادة " ، لكن ابن المعتز يذكر أمثلة أخرى ليس هذا حالها " ثم أسرف الخثمعي حتى خرج عن حد الإنسان ، فقال :

يدلى يديــه إلى القليب فيستقي في سربد بدل الرشاء المكرب

و قال آخر يهجو رجلا :

تبكي السموات إذا ما دعـا و تستعيذ الأرض من سجدته
إذا اشتهى يوما لحوم القـــطا صرعها في الـــــــجو من نكهته

و قال آخر :

و أقسم لو خرت من استك بيضـــة لما انكسرت من قرب بعض إلى بعض[3]

و هذه الصور لا تكاد تقع ، بل هي مستحيلة الحدوث فالإفراط في الصفة عند ابن المعتز درجات منه ممكن الحدوث لكنه نادر نوعا ما ، و منه ما يخرج عن حد الإنسان ، و آخر ملاحظة في تعريف ابن المعتز هي أن أكثر أمثلته في الهجاء الساخر.

لم يشرح ابن طباطبا (ت 322 هـ) معنى الإغراق في المعنى و إنما ذكر مجموعة من الأشعار و استحسن بعضها.كقول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مـــــــدركي و إن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيـــــد إليك نـــــــــــوازع

" و إنما قال : " كالليل الذي هو مدركي و لم يقل كالصبح ، لأنه وصفه في حال سخطه فشبهه بالليل و هو له ، فهي كلمة جامعة لمعان كثيرة "
و مثله للفرزدق :

---

[1] سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف الإسكندرية ، جلال جزي وشركاه 1986 م ص 150 .
[2] ابن المعتز عبد الله: كتاب البديع ، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشكوفسكي ، دار المسيرة ، اعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب ط 2 1399 هـ / 1979 م ص 66 .
[3] ابن المعتز : البديع ص 66 .

و قد خفت حتى لو أرى الموت مقبلا ليأخـــــــــــــذني و الموت يكره زائره
لكان من الحجـــــــــــاج أهون روعـة إذا هو أغفى و هو ســـــــام نواظره

حيث يقول ابن طباطبا عن هذه صورة:" فانظره إلى لطفه في قوله : " إذا هو أغفى " ليكون أشد مبالغة في الوصف إذ وصفه عند إغفائه بالموت ، فما ظنك به ناظرا متأملا متيقظا ، ثم نزهه عن الإغفاء فقال : " و هو سام نواظره "[1]. ففي هذه الأبيات حاول أصحابها الوصول إلى أبعد ما يسمح به المعنى ليكون أمتد تأثيرا و إلى جانبها ذكر أبياتا تصل درجة المستحيل إذا لم تتعدها.

و كقول قاسم بن الخطيم :
طعنت ابن القيـــس طعنة ثائــر لها نقد لولا الشعاع أضـــــاءها
ملكت بـــــها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونـــها ما وراءها

و قول آخر :
ضربته في الملتقى ضربـــــــــــة فزال عن منكبـــــه الكاهـــــل
فصار ما بينهما رهـــــــــوة يمشي بها الرامـــــح و النابل[2]

و يبدو كذلك المجال واسعا عند ابن طباطبا فهو لا يضع مفهوما واضحا أو كما قال منير سلطان : " و أمام هذه المعارض التي يقدمها ابن طباطبا لفن من الفنون ، لا نستطيع أن نلم بمقصوده. "[3]

و أما قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) فيبدو تعريفه مفصلا أكثر و واضحا أكثر و إن كان قد أكثر من المصطلحات من مبالغة ، استحالة ، تناقض و ممتنع محاولا وضع فروق بينها ، فالغلو عنده هو " تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه ، و ليس خارجا عن طباعه إلى ما يجوز أن يقع له ...
مثل قول النمر بن تولب :
تظـــــــل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين و الساقين و الهادي

فليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الذراعـــين و الساقين و الهادي و أن يؤثر بعد ذلك و يغوص في الأرض ، و لكنه مما لا يكاد أن يكون و كذلك ما قلناه فيما قال مهلهل :
فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيـــــــض تقرع بالذكور

---

[1] ابن طباطب العلوي : عيار الشعر ، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع ، مطبعة المدى ، المؤسسة السعودية بمصر ، توزيع مكتبة الخانجي بالقاهرة ص 79 – 80 .

[2] ابن طباطب العلوي ، عيار الشعر: ص 77 – 78 .
[3] سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ص 151 .

فإنه أيضا ليس يخرج عن طباع أهل حجر أن يسمعوا الأصوات من الأماكن البعيدة ، و لا خارج عن طباع البيض أن تصل و يشتد طنينها بقرع السيوف إياها و لكن يبعد ببعد المسافـــة بين موضع الوقعة و حجر بعدا لا يكاد يقع "[1]
سيف النمر لا يمكن أن يقطع الذراعين و الساقين و العنق و يغوص في الأرض و يستحيل على صوت المعركة أن يصل من الشام إلى الجزيرة و تبدو تعليلاته سفسطائية فشدة سمع أهل حجر لا يمكن أن تزيد عن باقي البشر محدودة بالمسافة ، لكن غاية الغلو عند قدامة الوصول إلى أبعد نقطة ممكنة ، ففي صدر كتابه يعرف الغلو بقوله : " و كل فريق إذا أتى من المبالغة و الغلو بما يخرج عن الموجود و يدخل في باب المعدوم فإنما يريد به المثل و بلوغ النهاية في النعت "[2].

و عندما يتعرض القاضي الجرجاني (ت 392 هـ) للغلو ، لا يذكر المصطلح بلفظه إنما يستخدم باقي المصطلحات: " فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين ، و موجود كثير في الأوائل ، و الناس فيه مختلفون ، فمستحسن قابل و مستقبح راد و له رسوم متى وقف الشاعر عندها و لم يتجاوز الوصف حدها جمع بين القصد و الإستيفاء و سلم من النقص و الاعتداء " [3]

يعرض هذا النص على صغر حجـــمه جملة من الآراء الهامة ، أولها أن الإفـــــراط منتشر بين المحدثين و موجود عند القدامى ، الثاني : اختلاف المواقف بين مستحسن و مستقبح و لن أعرض لهذه الآراء الآن فلكل منها مكانها في البحث لكن ما يهم الآن هو أن الجرجاني لم يقدم تعريفا سواء كان مجملا أو مفصلا و إنما بدا و كأنه يتحدث عن ظاهرة عامة معروفة للجميع لا تحتاج إلى تعريف. و ما يشد الانتباه كذلك في نصه السابق الرسوم التي يتحدث عنها و إن لم يحددها و لا حدها الذي لا يجب أن يتجاوزه الوصف بلا إفراط و لا تفريط ، و يذكر بعد ذلك جملة من الأمثلة على سبيل الإيضاح و الاحتجاج للمتنبي :
فإذا سمع المحدث قول الأول :

ألا أينـــــما غـــــــــادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب

و قول آخر من المتقدمين :
يسر على أن يقول :

أسر إذا نحلت و ذاب جسمي لعل الريح تســـــــفي به إليـــــــه

و استحسن غيره أن يقول :

ذاب فلـــو زج بجسمانـــــــــه في ناظر الوسنـــــان لم ينتبـــــــه

و سهل لأبي الطيب المتنبي الطريق فقال :

و لو قلم ألقيت في شق رأســـــه من السقم ما غيرت من خط كاتب

و قال :

---

[1] ابن جعفر قدامة: نقد الشعر تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الفانجي ، القاهرة ط 3 ص 214 .
[2] نفسه : ص 62 .
[3] لجرجانيالقاضي علي بن عبد العزيز ا : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية – لبنان ، دون تاريخ ص 420 .

كفى بجسمي نحولا أنني رجـــل لولا مخاطبـــــــــــتي إياك لم ترني[1]

أما العسكري (ت 395 هـ) فيفرد للغلو الفصل العاشر من الصناعتين و يعرفه قائلا: " الغلو تجاوز حد المعنى و الارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها "[2]. و تعريفه لا يخرج عن المعنى اللغوي للغلو كما ذكرت سابقا لكن اللافت عند العسـكري هو الأمثلة التي ذكرها من القرآن الكريم و يثبت من خلالها أن الغلو كاد يفعـــــل فيقول : " و قال الله تعالى : " و إن كان مكرهم لتزول منه الجبال "[3] بمعنى لتكاد تزول منه الجبال ، و يقال أنها في مصحف ابن مسعود مثبتة و جاءت في القرآن الكريم مثبتة و غير مثبتة ، قال تعالى : " و إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم "[4] ، و قال الشاعر :

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظرا يزيل مواطئ الأقـــــــــدام

و كاد إنما هي للمقاربة ، و هي أيضا مع إثباتها توسع "[5]

أما الباقلاني (ت 403 هـ) فيبدو أكثر غموضا ، ففي كتابه إعجاز القرآن يذكر شواهدا شعرية تنتسب إلى الغلو لكنه يذكر أنها من البديع فقط دون إيراد مصطلح الغلو، يقول : " و من البديع عندهم كقول النمر بن تولب :

أبقى الـحـوادث و الأيام من نمر أسنـــــاد سيف قديم باتره بادي
تظل تحفر عنـــه إن ضربت بـه بعد الذراعين و القيدين والهادي

و كقول النابغة :

تقد السلوقي المضاعف نسجه و يوقدن بالصفاح نار الحباحب

و كقول عنترة :

فازور من وقع القنا بلبانـــــــه و شكا إلي بعبرة و تحمحـــــم

و كقول أبي تمام :

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لخر يلثم منه موطئ القـــــــدم

و كقول البحتري :

و لو أن مشتاقا تكلف فوق مـــا في وسعه ، لمشى إليك المنبـــــر

و من هذا الجنس في القرآن : " يوم نقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد "[6] و قوله : " إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا و زفيرا "[7] و قوله : " لا تكاد تميز من الغيظ "[8] [9]و كما هو واضح من هذه الأبيات ، و بعضها يعد من الأمثلة المثالية المتكررة

---

[1] القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 420 – 421 .
[2] العسكري : كتاب الصناعتين ص 357 .
[3] سورة ابراهيم آية 46 .
[4] سورة القلم آية 51 .
[5] العسكري : كتاب الصناعتين ص 357 .
[6] سورة ق آية 30 .
[7] سورة الفرقان آية 72 .
[8] سورة الملك آية 8 .
[9] الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب : اعجاز القرآن ، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتاب الثقافية ط 1 1990 م / 1411 هـ ص 102 – 103 .

للغلو عند غيره من النقاد لكنه عدها من البديع ! فهل البديـع و الغلو عنده مترادفان عنده أم أن من باب إطلاق الكل على الجزء باعتبار الغلو نوعا من البديع المعنوي ؟ لكن الباقلاني يذكر بعد ذلك الغلو كنوع من البديع " و يعدون من البديع المبالغة و الغلو "[1] و يذكر له أمثلة أخرى دون تعريفه.

وأفرد ابن رشيق القيرواني بابا خاصا بالغلو و اعتبر أن الإفراط و الإغراق من أسمائه و اعتبره محالا لمخالفته الحقيقية و خروجه عن الواجب و المتعارف[2] و هو تعريف لا يخرج عن المعنى اللغوي كما قرر ذلك في نهاية الباب و لا عن التعاريف السابقة.

و عندما يعرف الزمخشري (ت 538 هـ) الغلو : يقرن بينه و بين الإسراف : " فهو مجاوزة الحد تجاوزا غير مطلوب ، فمن قرأ الآية : " ألا تعلوا علي و أئتوني مسلمين "[3] ، " ألا تعلوا علي " من الغلو و هو مجـــاوزة الحد ، و الغلو الإسراف أيضا ، " و الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما "[4] ، فالتقتير : التضييق الذي هو نقيض الإسراف ، و الإسراف : مجاوزة الحد في النفقة ، و وصفهم بالقصـــد الذي هو بين الغلو و التقصير "[5]

والإفراط و الغلو مترادفان عند حازم القرطاجني (ت 684 هـ) فالإفراط " هو أن يغلو في الصفة فيخرج بها عن حد الإمكان إلى الامتناع و الاستحالة "[6]. كما لا يترك تعريف الممتنع و المستحيل و التفريق بينهما " إن الممتنع : هو ما لا يقع في الوجود و إن كان متصورا في الذهن كتركيب يد أسد على رجل مثلا و هو ما لا يصح وقوعه في وجود و لا تصوره في ذهن ككون الإنسان قائما قاعدا في حال واحدة "[7] . و أصبح المستحيل بعد حازم هو الحد الذي إذا بلغه الوصف صار غلوا ، و أصبح التعريف مكررا يعتمد على نفس الأمثلة بداية من الخطيب القزويني (ت 739 هـ) حين يقول : " و من المبالغة المقبولة ، و المبالغة أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا ، لئلا يظن أنه غير متناه فيه ، و تنحصر في التبليغ و الإغراق و الغلو لأن المدعى إن كان ممكنا عقلا و عادة فتبليغ ... و إن كان ممكنا عقلا لا عادة فإغراق ... و إلا فغلو "[8] ، فهذا يعني أن المبالغة عنده هي الأصل و تتفرع منها باقي المفاهيم حسب المخطط التالي :

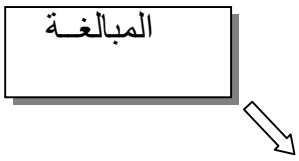

---

[1] الباقلاني،اعجاز القرآن: ص 114 .

[2] ابن رشيق القيرواني : العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق وشرح مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط 1 1983 م ص 287 .

[3] سورة النمل آية 31 .

[4] سورة الفرقان آية 67 .

[5] الزمخشري أبو القاسم : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دون تاريخ الجزء 3 ص 100 .

[6] القرطاجني حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن فوجة ، دار الكتب الشرقية – تونس 1964 ص 76 .

[7] نفسه:ص 76 .

[8] القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب : التلخيص في علوم البلاغة ، ضبط وشرح عبد الرحمان البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر 1350 هـ / 1932 م ط 2 ص 370 – 372 .

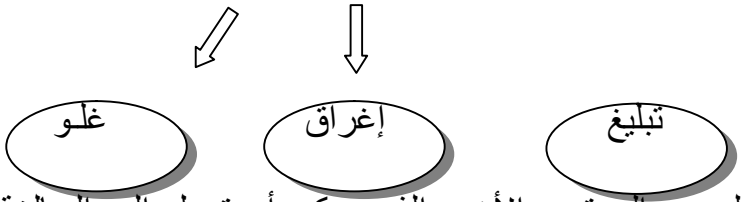

و الغلو هو المستوى الأخير الذي يمكن أن تصل إليه المبالغة الحد المستحيل أو المستبعد و يذكر له قول أبي نواس :

و أخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق[1]

و يتكرر التعريف و الأمثلة عند الشراح بعده دون زيادة تذكر غير أن السجلماسي ينحو نحوا آخر لا يشبه فيه أي بلاغي آخر من كثرة الأجناس و الأنواع لكن التعريف لا يتغير كثيرا عما سبق ، فالغلو " و هو المدعو الإفراط عند قوم في صناعة الاشتقاق هو منقولهم " غلا في الأمر يغلو غلوا " و هو يرادف الإفراط ، ثم نقل من ذلك الحد إلى علم البيان على ذلك الاستعمال و الوضع فيوضع فيه علة الإفراط في الإخبار عن الشيء و الوصف له ، و مجاوزة الحقيقة فيه إلى المحال المحض ، و الكذب المخترع لغرض المبالغة ، و بالجملة هو أن يكون المحمول ليس في طبيعته أن يصدق على الموضوع و ليس في طبيعة الموضوع و لا في وقت و لا على جهة أن يصدق عليه المحمول[2] " فقد أكد ثلاث مرات على الترادف بين الإفراط و الغلو و كغيره من النقاد و البلاغيين فالغلو عنده هو تجاوز حد الحقيقة إلى المستحيل ، مع استعمال المصطلحات المنطقية و التمثيل بالأبيات الشعرية المعتادة ، " و من صور هذا النوع قول النابغة :

تقد السلوقي في المضاعف نسجه و توقد بالصفاح نـــــار الحباحب

و قوله :

فلو أن ما أبقيت مني معلـــــــــق يعود تـــــمام ما تأود عـــودهـــــا

و قوله :

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل[3]

ثانيا : مصطلحات لها علاقة بالغلو:

غالبا ما يرتبط الغلو بالعديد من المصطلحات الأخرى كمرادفات أو أنها تنتمي إلى نفس المجال أو كما قال زغلول سلام : " و الإفراط في الإغراق ذكره ابن قتيبة في المشكل باسم المبالغة أثناء دراسته للاستعارة و أفرد لها ابن المعتز بابا في البديع سماه باسم ابن قتيبة في الشعر و الشعراء (الإفراط في الصفة) ، و ذكره أبو هلال باسم الغلو و جعل المبالغة لونا آخر ، و يذكره ابن رشيق باسم الغلو كذلك و المدلول واحد اختلف

---

[1] القزويني : التلخيص في علوم البلاغة ص 372 .

[2] السجلماسي أبو القاسم : المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تقديم وتحقيق علال الغازي ، مكتبة المعارف – الرباط 1401 هـ / 1980 م ، ط 1 ص 273 – 274 .

[3] نفسه:ص 275 .

البلاغيـــــون في تسميته و التفريغ منه فجعلوا منه المبالغة و الإيغال و الغلو ...إلخ "[1] و لا يمكن أن يكون مفهوم الغلو جليا دون تحديد باقي المفاهيم ولعل أهمها :

المبالغة : " أن تبلغ في الأمر جهدك "[2] و هو المعنى ذاته في تاج العروس مع زيادة عدم التقصير[3]. أما عند ابن عباس (ت 68 هـ) فهي " بلوغ الغاية و الكمال في الأمر " قال تعالى : " قول معروف و مغفرة خير من صدقة يتبعها أذى و الله غني حليم "[4] الغني الذي كمل في غناه ، و الحليم كمل في حلمـــه[5] و هو مفهـــوم لا يخرج عن المعنى اللغوي " و يقال أن قدامة بن جعـــــفر هو الذي أطلق هذا المصـــطلح و سمي من بعده عند غيره التبليغ و الإفراط في الصفة "[6] و قد أفرد لها قدامة جزءا من نقد الشعر و حرفها و أفرد العديـــد من الأمثلة ، حيث يقول : " المبالغة و هي أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في الشعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما يذكره من ذلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له ، و ذلك مثل قول عمير بن الأيهم التغلبي :

و نكرم جارنا مادام فينا و نتبعه الكرامة حيث مالا

فإكرامهم للجار مادام فيهم من الأخلاق الحميدة الموصوفة و إتباعـــــهم إياه الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل "[7] ، فالمبالغة عنده كما في المعنى اللغوي تماما الاجتهاد و عدم الاقتصـــار على الحد الأوسـط ليكون أبلغ و أكثر تأثيرا في المتلقى.

أما عند العسكري فالمبالغة : " أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته و أبعد نهايته و لا تقتصر في العبارة عند أدنى منازله و أقرب مراتبه ، و مثال من القـــرآن قول الله تعالى : " يوم ترونـــها تذهل كل مرضعة عما أرضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى "[8] و لو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا و بلاغة كاملة ، و إنما خص المرضعة للمبالغة ، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها و أشفق به لقربه منها و لزومها له ، لا يفارقها ليلا و لا نهارا ، و على حسب القرب تكون المحبة و الألفة "[9] ثم يذكر العسكري نوعا آخر من المبالغة و ينقل تعريف قدامة السابق و أمثلة ، و يبدو عنده أن الفرق بين النوعين كون المبالغة في النوع الأول تكون في كلمة واحدة فقط أما في النوع الثاني فتكون في تركيب كامل ينقل الصفة.

---

[1] سلام محمد زغلول ، أثر القرآن في تطور النقد العربي حتى آخر القرن الرابع الهجري ، دار المعارف – مصر ، ط 3 ، 1968 م ص 214

[2] ابن منظور : لسان العرب مادة " بلغ " .

[3] الزبيدي : تاج العروس مادة بلغ .

[4] سورة البقرة آية 263 .

[5] سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف – الإسكندرية ، جلال حزي وشركاه 1986 ص 123 عن تفسير الطبري ، دار المعارف ، تحقيق محمود وأحمد شاكر جزء 5 / 521 .

[6] الأخضر عيكوس : ظاهرة البديع في الشعر العربي ، دراسة في الوظيفة والمصطلح ، أطروحة دكتوراه ، إشراف د. مختار بولعراوي – جامعة قسنطينة ، معهد الآداب واللغة العربية سنة 1416 هـ / 1995 م .

[7] ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 141 .

[8] سورة الحج آية 2

[9] العسكري : كتاب الصناعتين ص 365 .

و المبالغة عند الباقلاني : " تأكيد معاني القول "[1] و يذكر لها نفس الأمثلة السابقة دون أن يشرح تعريفـــه و إن كان لم يأت فيه بجديد فهو لا يخرج عن التعريفات السابقة في إيجاز شديد.

و لأسامة بن منقذ (584 هـ) نفس الرأي حيث يقول: " أعلم أن المعنى إن زاد عن التمام سمي مبالغة ، و قد اختلفت ألفاظه في كتبهم فسمـــــاه قوم : الإفراط و الغلو و الإيغال و المبالغة ، و بعضـــــه أرفع من بعض "[2] و يتوقف هنا ليسرد قائمة طويلة من الشواهد الأدبية دون أن يبين الفروق بين هذه المصطلحات.

و المبالغة عند يحي بن حمزة العلوي (759 هـ) " أن تثبت للشيء وصفا من الأوصاف تقصد فيه الزيادة على غيره إما على جهة الإمكان أو التعذر أو الاستحالة "[3] و يقرر أن الإمكان و التعذر و الاستحالة تشمل أنواع المبالغة وفق ثلاثة مستويات و يضع بعد ذلك لكل مستوى اسما حسب المخطط التالي :

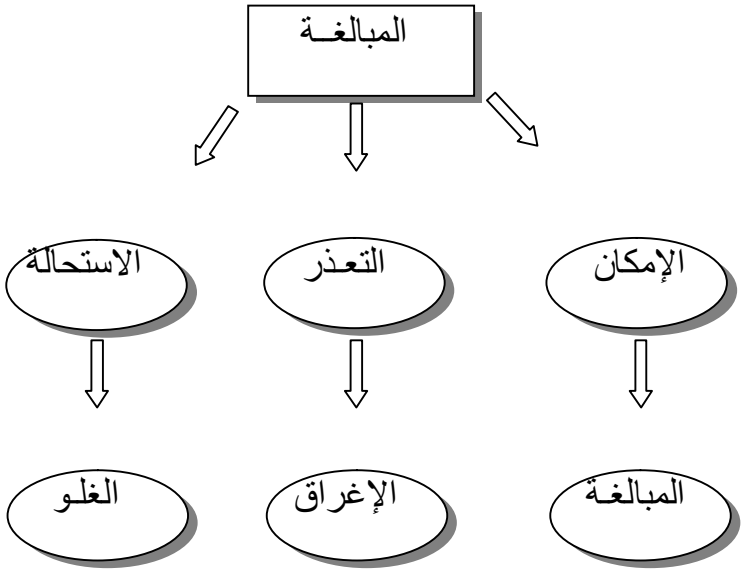

فمصطلح المبالغة عنده يحمل دلالتين ، الدلالة الأولى التي ذكرت سابقا ، و الدلالة الثانية الوصف الزائد عن الحد الأوسط و في نفس الوقت ممكن الوقوع.

و عند مقارنته بمخطط القزويني السابق ، يظهر الاختلاف في المستوى الأول فالقزويني يسميه تبليغا في حين أن العلوي يحتفظ بمصطلح المبالغة .

والمصطلح الثاني الذي يجب الوقوف عنده لارتباطه بالغلو هو " الإغراق " ففي معجم مقاييس اللغة " العين و الراء و القاف أصل واحد صحيح يدل على انتهاء في شيء يبلغ أقصاه "[4]. أما في جمهرة اللغة " أغرق في الشيء يغرق إغراقا إذا جاوز الحد "[1]. و

---

[1] الباقلاني : إعجاز القرآن 114 .

[2] ابن منقذ أسامة بن مرشد بن علي: البديع في البديع نقد الشعر ، تحقيق علي مهنا ، دار الكتب العلمية – بيروت ط 1 1407 هـ / 1987 م ص 155 .

[3] العلوي يحي بن حمزة : كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز ، ج 3 / 117 .

[4] بن فارس ،أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، دار الجيل – بيروت ط 1 ، 1411 هـ / 1991 م جزء 4 / 418 .

في تاج العروس يتم تحديد الإغراق في الكلام كما يلي: " و أغرق في القول و غيره جاوز الحد و بالغ و أطنب و هو مجاز "[2]. و هنا يظهر فرق بينه و بين المبالغة فكلاهما زيادة أو تجاوز ، لكن المبالغة كانت تحد بعدم التقصير و هو يحد بالتجاوز و الوصول إلى أقصى غاية.

أفرد ابن منقذ بابا خاصا للإغراق في بديعه بدأه بالتعريف فقال : " أعلم أن الإغراق هو أن يبالغ في شيء بلفظه و معناه "[3] ، و يبدو أنه كان يقصد بلفظه تكرار اللفظ قصد المبالغة فكل الشواهد التي أوردها تدل على ذلك.

قال المتنبي :

عهدي بمعركة الأمير و خيلـــه في النقع محجمة عن الإحجـــــــام

و قوله أيضا :

و إذا أشفق الفوارس من وقع الـ قنا أشفـــــــــــــــقوا من الإشفاق "[4]

و هو مفهوم خاص للإغراق.

أما السلجماسي فالإغراق عنده جنس متوسط من نوع المبالغة ، يقع تحته الغلو و أنواع أخرى[5]

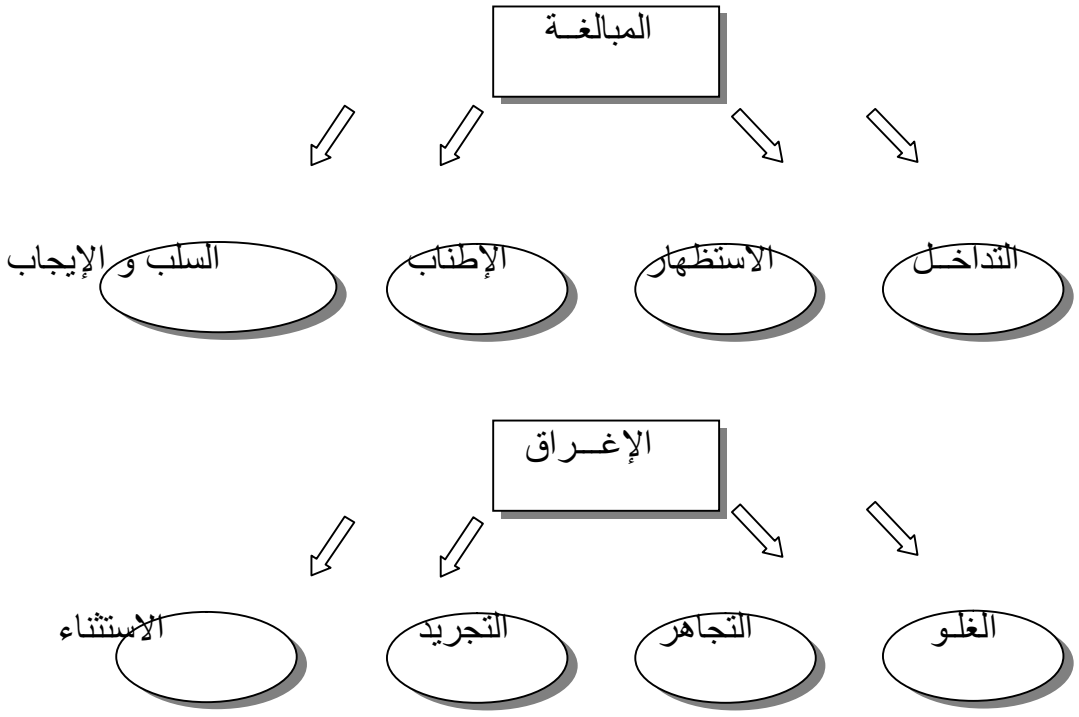

[1] ابن دريد : جمهرة اللغة ، جزء 2 / 395 .
[2] الزبيدي : تاج العروس ، مادة غرق .
[3] ابن منقذ أسامة: البديع في البديع ص 129 .
[4] نفسه: ص 129 .
[5] السجلماسي : المنزع البديع ص 273 .

يستخدم الإفراط دائما كمرادف للغلو و لهما نفس المعنى اللغوي. جاء في جمهرة اللغة " و الفرط أيـضا تجاوز الحد "[1]. و في لسان العرب " أفرط في الأمر أسرف و تقدم "[2] و تاج العروس " و الفرط بالفتح الاسم من الإفراط و هو مجاوزة الحد في الأمر "[3]. و قد يستخدم أحيانا عوضا عن العلو ن قال ابن الأثير الأربيلي : الإفراط : و هو الإسراف و تجاوز الحد كقول أبي الطيب :

و كفى اليمين بفتك خوفـــا لأفردت اليمين من الشمـــال[4]

أما المحال و الإحالة و المستحيل فكلها مصطلحات تحمـــل نفس الدلالة. ففي تاج العروس " كل ما تحول و تغير من الاستواء إلى العوج فقد حال و استحال "[5] ، و هذا أيضا ينطبق على الكلام " و المحال من الكلام : ما عدل به عن وجهه و حوله : جعله محالا ، و أحال : أتى بمحال ، و رجل محوال : كثير محال الكلام ، و كلام مستحيل : محال. و يقال : أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته و روى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قال : المحال الكلام لغير شيء ، و المستقيم كلام لشيء[6] ، فالمحال هو التغير من الصواب إلى الاعوجاج و عند الخليل المحال ضد المستقيم ، و يفصـــــل سيبويه المستقيم المحال أكثر و ينوع من المستقيم ثلاثة أنواع و من المحال نوعين. " فمنه مستقيم حسن و محـــال و مستقيم كذب و مستقيم قبيح و ما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، و سآتيك غدا ، أما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدا و سآتيك أمس ، و أما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، و شربت ماء البحر و نحوه ، و أما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير مواضعه ، نحو قولك : قد زيدا رأيت و كي زيدا يأتيك ، و أشباه هذا ، و أما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس "[7]

و أمثلة المحال تبين مفهومه عند سيبويه فهو " إدعاء وقوع الحدث قبل وقته ، و هذا ممتنع ، أو ادعاء وقوعه قبل فوات ظرفه ، و هذا ممتنع كذلك ، و مثالاه صريحان في هذا "[8].

أما النوع الذي له علاقـــــة بموضـــــوع البحث فهـــو المستقـيم الكذب بمثالين يتضمنان مبالغـة " حملت الجبل " و " شربت ماء البحر ". و قد بين الدكتور رابح دوب كيف أن سيبويه قد جهد للمبالغة أو الغلو فهو أولا لا يقصد الكذب الخلقي و إنما التخييل الفني ، و ثانيا دعوى شرب ماء البحر " غير مقبولة من مدعيها الاستحالة وقوع مدلولها عقلا و عادة ، فالعقل لا يجوز أن يشرب إنسان ما مهما كان ماء البحر دفعة واحدة و لا

---

[1] ابن دريد : جمهرة اللغة ، مادة ر ط ف .
[2] ابن منظور : لسان العرب ، مادة فرط .
[3] الزبيدي : تاج العروس ، مادة فرط .
[4] الصاوي الجويني،مصطفى: البديع لغة الموسيقى والزخرف منشأة المعارف الاسكندرية دون تاريخ : ص 201.
[5] الزبيدي : تاج العروس مادة حول .
[6] ابن منظور : لسان العرب مادة حول .
[7] دوب رابح : البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار الفجر للنشر والتوزيع – القاهرة ط 1 ، 1997 ص 75 ، عن كتاب سيبويه جزء 1 ص 8 .
[8] نفسه:ص 76 .

على دفعات ، و لو عمر نوح عليه السلام ، و ما منعه العقل منعته كذلك العادة و هذا ما أطلق عليه المتأخرون اسم " الغلو " أحد أنواع المبالغة الثلاثة "[1]

و يفرق العسكري بين المستقيم الكذب و المحال مستعينا بكلام سيبويه و أمثلته ، و إن كان تفريقه غيبيا غير مقنع ، فالمحال عنده " ما لا يجوز كونه البتة كقولك : الدنيا في بيضة ، و أما قولك : حملت الجبل ، و أشباهه فكذب و ليس بمحال ، إذ جاز أن يزيد الله في قدرتك فتحمله "[2] ، و هذا التفسير يمكن أن يقاس كذلك على المحال فيمكن أن يخلق الله بيضة تسع الأرض ، و لا يصبح للغلو أي وجود " آية " ، و يرد المستحيل عند النقاد مرتبطا بالمتناقض و الممتنع مرادفا للأول عند قدامة " المتناقض لا يكون و لا يمكن تصوره في الوهم "[3] ، و هو التعريف ذاته الذي يقدمه ابن سنان للمستحيل في سر الفصاحة الفصاحة حيث يقول : " المستحيل هو الذي لا يمكن وجوده و لا تصوره في الوهم "[4] و الممتنع عند كليهما واحد ما " لا يكون و يجوز أن يتصور في الوهم "[5] ، " و يظهر التداخل بين هذا المفهوم و مفهوم الغلو فيحاول أن يضع الحدود الفاصلة مستعينا بالشواهد الأدبية و مما جاء في الشعر – قد وضع للممتنع فيه فيما يجوز وقوعه قول أبي نواس :

يا أمين الله عش أبـــــدا دم على الأيام و الزمـــــن

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله عش أبدا أو دعا له ، و كلا الأمرين مما لا يجوز : مستقبح "[6] و هذا البيت ينطبق عليه تعريف الغلو ، و كثيرا ما صنف في هذا الباب و انتبه قدامة للأمر و تفطن إلى أنه ناقض نفسه فأخرج الشاهد من حد الغلو إلى الممتنع حسب تعريفه السابق ، فالإنسان لا يمكن أن يعيش أبدا و لا مكان في الدعاء ليكاد[7].

إلى جانب هذه المصطلحات الراسخة العلاقة بالغلو ، و التي دائما يكون مقترنا بها أو مرادفا لها في أحيان كثيرة و مما يدل على ذلك ما جاء في لسان العرب " و منه قول عمر رضي الله عنه : لا تغالوا صدقات النســاء ، و في رواية : لا تغالوا صدق النساء ، و في رواية : في صدقاتهن : أي لا تبالغوا في كثرة الصداق "[8] ، توجد مصطلحات أخرى على علاقة أقل بالغلو و إن كانت لا تخرج عن الإطار العام للمبالغة.

فالتتميم محسن بديعي يذكر غالبا بعد المبالغة بأنواعها ، و لم يأت هذا الترتيب اعتباطا ، فالعلاقة بينهما وطيدة ، فابن رشيق يسميه " التمام أيضا و بعضهم يسمي ضربا منه احتراسا و احتياطا ... و معنى التتميم أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع ما يتم به حســنه إلا أورده و أتى به إما مبالغة و إما احتياطا و احتراسا من التقصير "[9] ، و القسم

---

[1] دوب:البلاغة عند المفسرين:ص 77 .
[2] العسكري أبو هلال : كتاب الصناعتين ص 70 .
[3] ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 213 .
[4] الخفاجي ابن سنان : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط 1 ، 1402 هـ / 1982 م ص 243 .
[5] ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 213 .
[6] نفسه: ص 213 .
[7] نفسه ص 214 .
[8] ابن منظور : لسان العرب ، مادة " غلا " .
[9] ابن رشيق : العمدة ص 279 .

الأول من التتميم غرضه المبالغة ، أي تجاوز الحد الأوسط في التعبير إلى الحسن و الكمال.
و التتميم بهذا المعنى لا يختلف عما أورده العلوي مستعينا بالشواهد ذاتها و مثاله قول زهير :

من يلق يومـــا على علاته هرما يلق السماحة منه و الندى خلقا

فقوله " على علاته " تتميم للمبالغة ، فوقعت في غاية الحسن و الرشاقة كما نرى ، و المراد بقوله على علاته أي على حالاته[1]. و المبالغة هنا لا تخفى فهرم إنسان و لا يمكن أن أن يكون ثابتا في خلقه في جميع الحالات فلا بد أن يغضب ، أو يثور أحيانا. أما السلجماسي فالتتميـــــم عنده يندرج تحت المبالغة ، لكنه يحتفظ بنفـــس التعريف و نفس الأمثلة[2].
والاختلاف بين الإيغال و التتميم بسيط ، فالتتميم يكون في مشق البيت و الإيغال لا يكون إلا في القافية ، و الإيغال مشتق من " الإبعاد ، يقال أوغل في الأرض إذا أبعد فيما حكاه ابن دريد و قال و كل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه " ، فمن القول الأول يكون الشاعر قد أبعد في المبالغة ، و من الثاني يكون قد أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته بالقافية.
والإيغال عند ابن رشيق و السجلماسي ضرب من المبالغة و عند الحاتمي هو التبليغ[3].
انفرد القاضي عبد الجبار (415 هـ) بمصطلح التبعيد و استعمله بدل المبالغة أو الغرض و التمثيل واستخدم أمثلة صنفها بعض البلاغيين في باب الغلو كقوله تعالى : " و لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط "[4] ، " و هو وجه التبعيد يحقق أن دخولهم الجنة لا يقع "[5] و البعد يحمل في معانيه معنى التناهي في الأمر ، ففي لسان العرب " و في في حديث قتل أبي جهل : هل أبعد من رجل قتلتموه ؟ قال ابن الأثير : كذا جاء في سنن أبي داوود معناها أنهى و أبلغ ، لأن الشيء المتناهي في نوعه يقال قد أبعد فيه ، و هذا أمر بعيد لا يقع مثله لعظمه و المعنى أنك استعظمت شأني و استبعدت قتلي فهل هو أبعد من رجل قتله قومه "[6] ، و الغلو أيضا يحمل هذا المعنى : معنى البعد و التناهي في الأمر و أحيانا يذكر لفظ الاستبعاد في التعريف " بلغ و وصل من مراتب الشدة أو الضعف حدا أي طرفا و مكانا مستحيلا أو مكانا مستبعدا يقرب من المحال "[7] ، و هذا هو نفسه تصور القاضي عبد الجبار للتبعيد كمصطلح بديعي فهو يقصد " تبعيد الأمر المراد في الآية و أن العقل لا يتصوره واقعا بل و لا داخلا في الإمكان "[8].

---

[1] العلوي يحي بن حمزة : الطرازجزء3 ص 104 .
[2] السجلماسي : المنزع البديع ص 323 – 324 .
[3] ابن رشيق : العمدة ص 287 .
[4] سورة الأعراف آية 40 .
[5] لاشين عبد الفتاح : بلاغةالقرآن في آثارالقاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية ص 417 .
[6] ابن منظور : لسان العرب مادة بعد .
[7] الدسوقي: حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر جزء 4 / 358 .
[8] لاشين عبد الفتاح : بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار و أثره في الدراسات البلاغية ص 423 .

يعتبر السجلماسي غرض التشبيه المقلوب من الغلو و المبالغة في الوصف ، و قد أورد عدة شواهد شعرية دون أن يعطي أية تفصيلات ، هل يقصـــد الغلو بمعناه الاصطلاحي الدقيق ، أم أنه يقصـــد مجرد التناهي في الأمر و من قوله :

كأن سبيئـــة من بيت رأس يكون مزاجها عســـل و ماء
على أنيابها أو طعم غصن من التفاح هصـــــــره أجناء

فإن الغرض من هذا الشعر – على القصد الأول – تشبيه ريق هذه الموصوفة بالسبيئة ، و تخييل السبيئة فيه فعكس الأمر غلو و مبالغة "[1]

وكثرة المصطلحات إن دلت على شيء ، فهي تدل على أن الغلو ليس مفهوما محددا منفصلا بل يخضع لعدة عوامل لتحديده ، لعل أولها ثقافة البلاغي و البيئة الاجتماعية ، فالعادة مثلا ليست أمرا ثابتا بل دائمة التغير و كثير من النقاد يستخدم المبالغة ، الغلو و الإفراط كمفردات تحمل نفس المعنى[2] كما وجد من شدد على الفروق بينها حتى عند قدامة بن جعفر الذي اهتم بتحديد الغلو في نقد الشعر ، بدأ الغلو جليا بينه و بين باقي المصطلحات في جواهر الألفاظ فهو يقول في معنى الإســـــراف و الإغـــراق " أسرف فلان في فعله و غلا في دينه و أغرق في أمره و أسهب في قوله و أطنب في وصفه و أكثر و أفرط "[3]

لكن يمكن رصد درجات المعنى : تبدأ من الاقتصاد الذي مثل عبد القاهر الجرجاني " زيد كالأسد " أما الدرجة الثانية فهي الزيادة في الوصف و محاولة التناهي في الدعوى " إذا قال هو الأسد "[4] ، و الدرجة الثالثة هي تجاوز كل ذلك و ادعاء المحال.

ثالثا : الغلو و الدين :

ارتبط الغلو بالدين في كثير من النواحي لكنه حمل نفس المعنى اللغوي السابق الذكر ، و لم يخرج عليه مبدئيا ففي تاج العروس " غلا في الدين غلوا تشدد و تصلب حتى تجاوز الحد ، و منه قوله تعالى : " لا تغلوا في دينكم غير الحق "[5] ، و قال ابن الأثير : الغلو في الدين البحث عن مواطن الأشياء و الكشف عن عللها و غوامض متعبداتها "[6] ، و كذلك المعنى في محيط المحيط[7] ، و في التعاريف و تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية لا يخرج عن

---

[1] السجلماسي : المنزع البديع ص 228 .

[2] علما أنها لغويا تحمل نفس المعنى ففي جمهرة اللغة لابن دريد
الغلو : " ارتفاع الشيء ومجاوزة الحد فيه " جزء 3 / 150 مادة غلو.
الإسراف : " قالوا قتل فلان بني فلان فأسرف إذا جاوز في ذلك المقدار" .
الإغراق : " وأغرق في الشيء يغرق إغراقا ، إذا جاوز الحد فيه " جزء 2 ص 395 مادة غرق .
الإفراط : " وأفرطت في الأمر إفراطا ، إذا جاوز الحد فيه " جزء 2 ص 372 مادة فرط .

[3] ابن جعفر قدامة: ظواهر الألفاظ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ط 1 ، 1979 م ص 272 .

[4] الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 231 .

[5] سورة المائدة آية 177 .

[6] الزبيدي : تاج العروس مادة غلا .

[7] البستاني : محيط المحيط ص 665 .

عن هذا الإطار اللغوي العام : " الغلو : مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق و نحو ذلك "[1]
فالغلو في الدين مرتبط بتجاوز الحدود ، و بين الأستاذ عبود بن علي بن درع ملامح الغلو و صنفها بحسب متعلقه كالآتي :
1 . الغلو المتعلق بفقه النص ، و يكون بأحد أمرين :
أ – التفسير المتشدد للنصوص
ب- التعمق في معاني التنزيل
2 . الغلو المتعلق بالأحكام ، و يكون بأحد أمرين :
أ – إلزام النفس أو الآخرين بما لا يوجبه الله
ب- تحريم الطيبات أو ترك الضرورات
3 . الغلو المتعلق بالموقف من الآخرين حيث يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي الذي يوصل ممدوحه إلى درجة العصمة و يقف من البعض الآخر موقف الذام الغالي الذي يصم مخالفه بالكفر[2] و هذا النوع من الغلو موضوع البحث.
و لفظ الغلو بمعنى التجاوز ورد في القرآن مرتين في سورة النساء و سورة المائدة[3] المائدة[3] ، قال تعالى : " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم و لا تقولوا على الله إلاّ الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه فآمنوا بالله و رسله و لا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات و ما في الأرض و كفى بالله وكيلا. "[4] و تفسير الآية الكريمة في تفسير الجلالين الجلالين ، " يا أهل الكتاب (الإنجيل) لا تغلوا (تتجاوزوا الحد) في دينكم و لا تقولوا على الله إلا (القول) الحق (من تنزيهه عن الشريك و الولد) إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته ألقاها (أوصلها الله إلى مريم) و روح (أي ذو روح) منه (أضيف إليه تعالى تشريفا له و ليس كما زعمتم ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب و الإله منزه عن التركيب و عن نسبة المركب إليه) فآمنوا بالله و رسله و لا تقولوا (الآلهة) ثلاثة (الله و عيسى و أمه) انتهوا (عن ذلك و أتوا) خيرا لكم (منه و هو و التوحيد) إنما الله إله واحد سبحانه (تنزيها له عن) أن يكون له ولد ، له ما في السمـــــــاوات و ما في الأرض (خلقا و ملكا و عبيـــدا و الملكية تنافي البنوة) و كفى بالله وكيلا (شهيدا على ذلك) "[5] ، و لا يختلف تفسير الآية عند القرطبي[6] و عند الطبري[1] عن الجلالين .

---

[1] ابن درع عبود بن علي: ظاهرة الغلو في الدين الأسباب والمظاهر والعلاج ، دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض ، المملكة العربية السعودية ط 1 ، 1419 هـ / 1998 م ص 59 عن اقتضاء الصراط المستقيم جزء 1 ص 289 .

[2] ابن درع عبود بن علي: ظاهرة الغلو في الدين ص 61 – 62 .
[3] عبد الباقي محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار ومطابع الشعب ص 504.
[4] سورة النساء آية 171 .
[5] المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي ،جلال الدين بن عبد الرحمان بن أبي بكر ، تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه جزء 1 ص 93 .
[6] القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة 1387 هـ / 1967 م مصورة عن طبعة دار الكتب جزء 6 ص 21 .

و الآية الثانية التي تنهى عن الغلو جاءت في سورة المائدة " قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل. "[2] ، و لا يختلف تفسيرها عن تفسير الآية السابقة ، فالطبري يقول " و هذا خطاب من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم ، يقول تعالى ذكره يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيـح يا أهل الكتاب يعني بالكتاب الإنجيـــل ؛ لا تغلوا في دينكم ، يقول : لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح ، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه هو الله أو هو ابنه و لكن قولوا هو عبد الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا ، يقول و لا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه فتقولون فيه كما قالوا هو لغير رشده.[3]

هذه الآيات صريحة في النص عن الغلو و ظاهرها و إن كان موجهة لأهل الكتاب في مظهر في نصوص من الغلو ، لكنها تخص المسلمين أيضا و كل مظاهر الغلو و ليس فيها يخص الأنبياء فقط مدحا و ذما خاصة و أنه ظهر في الإسلام الغلو في الرسول عليه الصلاة و السلام مشابها لغلو النصارى في المسيح عليه السلام ، فادعوا أنه الله أو أنه ابنه فكان ثالث الآلهة عندهم الله أو الابن و الأم و على النقيـــــض من ذلك جرده اليهـــــود من النبوة و اتهموه كذبا و ضلالا.

كما ورد في سورتي النحل و الكهف بيان جزاء المفرطين ، ففي سورة النحل قال تعالى : " تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم و لهم عذاب أليم "[4] و فسرها القرطبي بقوله : " لا جرم أن لهم النار أي حقا لهم النار .. و قرأ نافع في رواية ورش مفرطون بكسر الراء و تخفيفها و هي قراءة عبد الله بن مسعود و ابن عباس و معناه مسرفون في الذنوب و المعصية أي أفرطوا فيها : يقال أفرط فلان على فلان أي أربى عليه "[5] و ورد هذا التفسير أيضا عند الجلالين ، قال تعالى : " لا جرم (حقا) أن لهم النار و أنهم مفرطون (متروكون فيها أو مقدمون إليها ، و في قراءة بكسر الراء أي متجاوزون الحد) "[6] ، فالنار في هذه الآية بحسب القراءة الثانية هي جزاء المفرطين المتجاوزين الحد.

أما الآية الواردة في سورة الكهف فيقول فيها جل و علا : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدو و العشي يريدون وجهه و لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطا. "[7] ، في لسان العرب "

---

[1] الطبري محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر – بيروت 1405 عن القرص المضغوط مكتبة العقائد والملل ، الإصدار 1.5 – 1419 هـ / 1999 م إعداد الخطيب للتسويق والبرامج عمان – الأردن ، الإشراف العلمي التراث مركز لأبحاث الحاسب الآلي ج 6 ص 34 .

[2] سورة المائدة آية 77 .

[3] الطبري : جامع البيان ج 6 ص 316 .

[4] سورة النحل آية 62 .

[5] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 121 .

[6] تفسير الجلالين ج 1 ص 290 .

[7] سورة الكهف آية 28 .

أمر فرط أي مجاوز فيه الحد ، و منه قوله تعالى : " و كان أمره فرطا "[1] و كالآية السابقة وردت عدة تفسيرات لأمر الفرط ، لكن الطبري رجح المعنى الوارد في لسان العرب "و أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه ضياعا و هلاكا من قولهم أفرط فلان في هذا الأمر إفراطا إذا أسرف فيه و تجاوز قدره "[2]

ارتبط الإفراط في القرآن الكريم بالضياع و العذاب كما ارتبط الغلو قبله بالنهي ، و عدم تجاوز الحدود التي وضعها الشارع لعباده ، و من بين الآيات التي تنص على ذلك قوله تعالى : " فاستقم كما أمرت و من تاب معك و لا تطغوا إنه بما تعملون بصير. "[3] ، " و إن لمما يستحق الانتباه هنا هو أن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة لم يكن نهيا عن القصور و التقصير إنما كان نهيا عن الطغيان و المجاوزة ، و ذلك أن الأمر بالاستـــقامة و ما يتبعه في الضمير من يقظة و تحرج قد ينتهي إلى الغلو و المبالغة التي تحول هذا الدين من يسر إلى عسر ، و الله يريد دينه كما أنزله و يريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط و لا غلو ، فالإفراط و الغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتفريط و التقصير و هي التفاتة ذات قيمة كبيرة لإمساك النفوس على الصراط بلا انحراف إلى الغلو أو الإهمال على السواء "[4].

و الآيات التي تدعو إلى الاستقامة و الوسطية و عدم تجاوز الحدود صراحة كثيرة ، كما يفهم منها ضمن النهي عن الغلو و الإفراط ، قال تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين "[5] ، و قال : " و كذلك جعلناكم أمة وسطا "[6] ، وقال أيضا : " و تلك حدود الله فلا تعتدوها و من يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون "[7].

كما نهى الرســول عليه الصلاة و السلام عن الغلو ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم غداة العقبة و هو علة ناقته : " ألقط لي حصى " فلقطت له سبع حصيات هن حصى الحذف ، فجعل ينفضهن في كفه و يقول : أمثال هؤلاء فارموا " ، ثم قال : " يا أيها الناس إياكم و الغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " [8] ، ، والنهي هذا ليس عن الغلو في الرمي فقط ، بل نهى عن الغلو عموما و لا شك أن هذا الموقف من الغلو في الدين قد أثر على النقاد و البلاغيين في مواقفهم من الغلو في الشعر

---

[1] ابن منظور : لسان العرب مادة فرط .

[2] الطبري : جامع البيان ج 5 ص 237 .
كذلك عند : القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 392 .
الجلالين :التفسير ج 2 ص 5 .

[3] سورة هود آية 112 .

[4] قطب سيد : في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط 3 / 1961 مجلد 4 جزء 18 ص 146 .

[5] سورة الفاتحة آية 6 – 7 .

[6] سورة البقرة آية 143 .

[7] سورة البقرة آية 229 .

[8] الألباني محمد ناصر الدين : صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، إشراف زهير الشاويش ، مكتبة التربية العربية لدول الخليج ط 3 – 1408 هـ / 1988 م مجلد 2 ص 177 .
وجاء الحديث في صحيح سنن النسائي باختصار السند ، صحيح أحاديث محمد ناصر الدين الألباني ، إشراف زهير الشاويش ، مكتبة التربية العربية لدول الخليج ط 1 – 1408 هـ / 1988 م مجلد 2 ص 640 .

باعتبار أن عددا كبيرا منهم كانوا فقهاء أو علماء دين عموما مع الأخذ بالاعتبار أن البلاغة العربية نشأت في ظل الدراسات القرآنية و الغلو في المدح أو الذم يعتبر أحد ملامح الغلو.

ينقسم الغلو في الدين إلى نوعين :

1 . غلو كلي اعتقادي : فهو المتعلق بباب العقائد و أمهات المسائل كادعاء العصمة للأئمة و هو السبب في ظهور الفرق.

2 . غلو جزئي عملي : و هو الخاص بالجزئيات محصورة في الفعل كقيام الليل كله[1].

و من مظاهر الغلو الإعتقادي : الغلو في الصحابة و الأئمة و الأولياء و ادعاء العصمة لهم أو حتى ادعاء الألوهية و خاصة الشيعة و غلوهم في علي رضي الله عنه ، " قال المصنف و كما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلت عليا بن أبي طالب حمل آخرين على الغلو في حبه فزادوا على الحد فمنهم من كان يقول هو الإله و منـــهم من يقول خير من الأنبياء و منهم من حمله على سب أبي بكر و عمر حتى أن بعضـــهم كفر أبا بكر و عمر إلى غير ذلك من المذاهب السخيفة[2]

و انتقل تشعب الغلو فيه رضي الله عنه إلى أحفاده و من ادعى القرب منه و تشعب الشيعة فرقا كثيرة تتفاوت في درجة غلوها ، و المظهر الآخر للغلو الاعتقادي الغلو في الرسول عليه الصلاة و السلام و اختص به الصوفية الذين اعتقدوا بالحلول و ادعى بعضهم الألوهية و الحلاج مثلا يرى أن للنبي صلى الله عليه و سلم صورتين مختلفتين :

1 . " صورته نورا أزليا قديما كان قبل أن يوجد العالم ، و منه استمد كل علم و عرفان حيث أمدّ الأنبياء السابقين عليه و الأولياء اللاحقين به.

2 . ثم صورته نبيا مرسلا و كائنا محدثا تعين وجوده في مكان و زمان محدودين و النبي المرسل عليه الصلاة والسلام إنما صدر في صورته عن ذلك النور الأزلي القديم " [3] ، و أكد الحلاج غير ما مرة على أسبقية وجود النبي صلى الله عليه و سلم و أنه وجد قبل الكون و هو مصدر الوحي لجميع الأنبياء و الصالحين ، فيقول : " همته سبقت الهمم و وجوده سبق العدم و اسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم " [4] ، و عند ربط هذا التصور بالحلول يظهر ادعاؤهم للألوهية جليا ، فالله جل و علا حل بالنبي صلى الله عليه و سلم و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلى الأنبياء و الأولياء من بعدهم لينتهي الأمر إلى الحلاج.[5]

و من نافلة القول هنا تبيان كفر هذا الإعتقاد و براءة الرسول صلى الله عليه و سلم منه و كذلك الإسلام فالله سبحانه و تعالى هو المختص وحده بالألوهية و الخلق و أسبقية وجوده و ديمومته وحده حيث قال تعالى: " كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام "[6]

---

[1] ابن درع عبود بن علي: ظاهرة الغلو في الدين 47 – 54 .

[2] أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد: تلبيس إبليس ، دار الكتاب العربي – بيروت 1405 هـ / 1985 م ط 1 تحقيق السيد الجميلي عن القرص المظغوط العقائد والملل ج 1 ص 118 .

[3] ابن درع:ظاهرة الغلو في الدين :ص265

[4] نفسه: ص266

[5] نفسه:ص 261-267

[6] سورة الرحمان آية 26-27

و قوله : " ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض و لا خلق أنفسهم و ما كنت متخذ المضلين عضدا "[1] ، و قوله أيضا مؤكدا عبودية الرسول صلى الله عليه و سلم : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي "[2] و أيضا : " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير "[3] و كذلك قوله : " ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون "[4]

كما أكد الرسول صلى الله عليه و سلم عبوديته المطلقة لله و براءته من ادعاءات الغلو فقال : " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله " و قال أيضا عليه الصلاة و السلام لرجل قال له : " ما شاء الله و شئت " ؛ " أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده "[5] ، كما غلا بعض الشعراء في شخص النبي صلى الله عليه و سلم عند مدحه و أضافوا إليه من صفات أو أسماء المولى عز و جل أو ادعاء الحلول أو الألوهية ، بل جاء ذلك على سبيل المدح و التضرع و طلب القرب و الشفاعة في الآخرة ، قال البوصيري في البردة :

يا أكـــــرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحـــــادث الهمم
و لن يضيق رسول الله جاهك بي ... إن الكريـــــم تجلى باســـــم منتقم
فإن لي ذمة منه بتسميتي محمـــــدا ... و هـــــو أوفى الخلق بالذمـــــــم
إذ لم يكن في معادي آخـــذا بيدي ... فضلا و إلا فقـــــــــل يا زلة القدم[6]

جعل رسول الله صلى الله عليه و سلم ملاذه الوحيد عند الشدائد و هذا خاص بالله وحده فهو ملاذ العباد في السراء و الضراء ثم تضرع له و أظهر الحاجة و طلب الشفاعة و نسى أنها فضل من الله و لا تكون إلا برضاه و بإذنه و لا يكفي جاه الشافع و لا مكانته ، أما الذمـــة التي ادعـــــاها بينه و بين الرسول صلى الله عليه و سلم لمجرد الاشتراك في الاسم فلم يرد لها ذكر في القرآن أو السنة ، و أنكر ابن تيمية على الشيخ الصرصري : ما يقول في قصائده من مدح الرسول من الإستعانة به مثل قوله : بك استدعيت وأستعين وأستنجد ونحو ذلك[7].

كما أنكره شارح كتاب التوحيد : " عصوه في نهيه الغلو فيه و إطرائه كما أطرت النصارى ابن مريم و صار حظهم منهم صلى الله عليه و سلم هو مدحه بالأشعار و القصائد و الغلو الزائد مع عصيانهم له في أمره و نهيه ، فنجد هذا النوع من أعصى الخلق له صلى الله عليه و سلم[8].

---

[1] سورة الكهف آية 51
[2] سورة الكهف آية 110
[3] سورة الإسراء آية 110 .
[4] سورة الإسراء آية 1 .
[5] ابن قاسم عبد الرحمان بن محمد العاصمي النجدي : مجموع فتاوى شيخ الإسلام محمد بن تيمية مطابع الرياض ط 1 1 – 1381 هـ ج 1 ص 65 – 66 .
[6] النجدي عبد الرحمان : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ج 1 ص 66 .
[7] ابن عبد الوهاب،سليمان بن عبد الله بن محمد :تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد،مكتبة الرياض الحديثة ص187 الرياض من القرص المضغوط العقائد والملل.
[8] النجدي عبد الرحمان : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ج 1 ص 70 .

الخاتمة

حاول البحث أن يدرس ظاهرة الغلو عند ثلاثة الشعراء ، و لم يكن الاختيار اعتباطيا ، بل هم الشعراء الذين أكد غير واحد من النقاد أنهم أكثر من لجأ إلى الغلو. وكان الأمر دائما ينحصر في أربعة هم : أبو نواس الحسن بن هانئ ، أبو الطيب المتنبي ، ابن هانئ الأندلسي و أخيرا أبو العلاء المعري. لكن البحث لم يتعرض للمعري بل اكتفى بالثلاثة الأوائل.

والسؤال الكبير الذي حاول البحث الرد عليه هو : لماذا أكثر هؤلاء الشعراء بالذات من الغلو ؟ فلابد من وجود أسباب خاصة بكل واحد منهم حتى يلجأ إلى هذا الأسلوب.

و قبل الوصول إلى هذا الجانب من البحث ، كان لابد من التعرف على الغلو و الجدل الذي ثار حوله ، فبدأ البحث بمدخل عام عرف فيه بالغلو لغة مستعينا بعدد من أمهات المعاجم ، فكان المعنى لا يخرج عن التجاوز في كل منها ؛ و كذلك كان الحال بالنسبة للمعنى الاصطلاحي ، فالغلو كان دائما تجاوز الحد و المقدار ، كما استعان البحث بتعاريف أهم النقاد القدامى من الذين تركوا بصماتهم في تاريخ النقد العربي.

و أثناء عرض هذه التعاريف ، برزت ظاهرة تعدد المصطلحات ، فالغلو لم يكن المصطلح الوحيد الذي تردد بل استعملوا مفردات أخرى كالمبالغة ، الإفراط ، الإحالة ، التبليغ ، الإغراق ، و كان لزاما علي البحث في معانيها و ربطها بالمصطلح الأساسي ، موضوع البحث الذي استعان هذه المرة أيضا بآراء بعض النقاد مع مخططات توضح العلاقة بينها.

كما تعرض المدخل للعلاقة بين الدين و الغلو ، فالغلو دينيا اتخذ مظهرين عملي و اعتقادي ؛ الأوّل خاص بالعبادات أما الثاني فمرتبط بموضوع البحث و تمثل خصوصا في فرقتين : الشيعة التي غالت في علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه و المتصوفة التي غالت في رسول الله عليه الصلاة و السلام.فكل من الفرقتين نسبت إليهما من الصفات ما يتجاوزهما أو ما هو خاص بالله جلّ و علا كالعتق من النار...

كان الفصل الأول تمهيديا تعرض البحث فيه لمواقف النقاد من الغلو ، فاستخلص أنّهم لا يخرجون عن ثلاث فئات :

فئة ساندت الغلو مطلقا و رأته قمة الإبداع الشعري ، فالشعر في نظرها لا يخضع لا للمنطق ولا للدين و لا للواقع المعاش ، فالشاعر حر في إبداعه و لا رقابة على خياله،حتى أن الشاعر في نظرها غير مطالب بأن يكون صادقا ، فالصدق مطلوب من الأنبياء لا من الشعراء، و كان رائد هذه الفئة الناقد قدامة بن جعفر ، كما ضمت عددا لا يستهان به من النقاد كإسحاق بن وهب و حازم القرطاجني ، و الخليل ابن أحمد الفراهيدي ... و أكثرهم من النقاد الذين تأثروا بالفكر اليوناني.

و الفئة الثانية ضمت النقاد الذين عارضوا الغلو مطلقا و تمسكوا بمقولة (أحسن الشعر أصدقه) فالكذب مرفوض مطلقا دينيا و اجتماعيا ، و الغلو يعد نوعا من الكذب و التهويل. و من النقاد الذين سلكوا هذا السبيل الجاحظ ، المرزباني ، الثعالبي ...

أما الفئة الثالثة و الأخيرة فقد ضمت صنفين من النقاد ، الأول خاص بنقاد اتسموا بالاعتدال فلم يساندوا الغلو مطلقا و لم يذموه بكل درجاته ، بل قبلوا ما وصل إلى حد معين و رفضوا الباقي ، و هنا طرحت قضية الحد نفسها مجددا فما هو هذا الحد الذي يجب أن يقف الغلو عنده ؟ـ فالتمسك بمقولة (القبول عقلا و عادة) لا يحل المشكلة فهي مقولة فضفاضة غير ثابتة. و الصنف الثاني ضم نقادا لم يكن لهم موقف محدد ؛ فهم تارة يمدحون أبياتا اتسمت بالإفراط و تارة أخرى يذمون أبياتا تحمل نفس الملامح.

أما الفصل الثاني فقد كان خاصا بالدراسة البلاغية للغلو باعتباره محسنا بديعيا من البديع المعنوي و كانت البداية مع سبب انتشار الغلو في العصر العباسي خاصة ، هذا العصر الذي شهد تغيرا جذريا في الحياة العربية عامة و الأدبية خاصة ، فالغلو كان موجودا في العصر الجاهلي لكن كصور متفرقة عند بعض الشعراء ولم يتحوّل إلى ظاهرة. وقد حاولت حصر الأسباب فكانت لا تخرج عن كونها إما حضارية أو نقدية :

شملت الأولى ؛ التغيير المادي ، فبعد أن كان العربي يسكن خيمة وسط الصحراء ، أصبح يسكن القصور المحاطة بالحدائق ، كما تغيرت طريقة المأكل و الملبس ، و انتشر الرقيق خاصة ، و انتشرت معهم ثقافاتهم و فنونهم و آدابهم و أصبح الشاعر يتمتع بحرية أكبر كما فقد مكانته الاجتماعية فلم يعد مصدر المعرفة الوحيد ، بل تحوّل أحيانا إلى مجرّد مسل للحاكم يمدحه و يرضي غروره.

أما الأسباب النقدية فقد شملت كل ما طرأ على النقد العربي من تغيير بفعل التأثر بالنقد اليوناني خاصة و الدراسات القرآنية ، فالناقد القديم لم يكن يسمح بأيّ تغيير في اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن المقدسة كما أنّ لجوء الشعراء إلى الغلو كان نوعا من الثورة و التجديد.

ونظرا للأثر الهام الذي لعبه الفكر الأرسطي في النقد العربي كان لا بد من الوقوف قليلا عنده وخصوصا عند كتابه في الشعر ، الذي رغم ترجمته السيئة إلا أن ذلك لم يحل دون وصول تأثيره في النقد العربي ؛ فقدامة بن جعفر قد لمح بذلك عندما نسب رأيه في الغلو إلى الفلاسفة اليونان ، في حين أن معاصره إسحاق بن وهب قد صرح أن الغلو هو رأي أرسطو ، فهو لا يرى حرجا في المبالغة ، بل أكثر من ذلك يظن أنها ضرورية أحيانا وفي أنواع معينة من الشعر.

وكان ختام هذا الفصل الوقوف عند جماليات الغلو ، فرغم كل ما ينسب إليه من تهويل و كذب ، إلا أنه يبقى أسلوبا يمنح الصورة الشعرية جمالا و إثارة ، ويبعدها عن الروتين ، حتى أنه في بعض الأحيان يكون ضروريا و إلا خرجت الصور ميتة لا روح فيها.

وأما الفصل الثالث و الأخير ، فقد كان خاصا بمنطلقات الغلو النفسية عند الشعراء ، وكانت البداية بأبي نواس الذي عاش حياة خاصة فهو قد وجد في عصر العصبيات والفخر بالأنساب لكنه كان مجهول الأب ، وأمه اشتهرت بسلوكها السيئ ، وكان يعّير بها ويخجل بها ، لكنها في الأخير تركته وحيدا ، فعاش وسط عصبة من المجان ، كل حياتهم السكر واللهو كما أنه كان نرجسيا ، وهذا ما جعله مغاليا في كل شيء إذا وصف الخمر فهي ليست الخمر العادية التي وصفها كل الشعراء ، بل هي خمر خاصة ، حضرت بطريقة خاصة يشربها من يستحقها فقط ، وإذا مدح لم يكن ممدوحه عاديا بل هو من نوع خاص تخافه

النطف التي لم تخلق ، وإذا تغزل ، فلا يهم إن كان المتغزّل به مؤنثا أو مذكرا فالصفات ذاتها للجنسين.

أما الشاعر الثاني الذي توقف عنده البحث فكان المتنبي ، الذي تميز بشخصية قوية طموحة ، عانت هي الأخرى من عقدة النسب ، لكن ردة فعلها لم تكن اللجوء إلى الخمر كأبي نواس ، بل على العكس من ذلك ، نادم الملوك لينال ولاية. فبدأ بسيف الدولة الحمداني ، لكنه لم ينل مراده منه ، وكان الملك الوحيد الذي أحبه حقا ومدحه عن إعجاب ، ثم اتجه بعده إلى كافور الإخشيدي، لكنه هو الآخر خذله ، فانقلب مدحه هجاء وكان في معظم هذا الشعر مبالغا ، بالغ في المدح كما بالغ في الفخر بنفسه ، واعتبرها فوق جميع البشر ، وكان يرى نفسه دائما ندا للملوك لا مجرد تابع وكل هذا انعكس على شعره.

أما الشاعر الأخير الذي وقف عنده البحث فهو ابن هانئ الأندلسي ، الذي كرس معظم شعره لمدح المعز لدين الله الفاطمي ، وكان ابن هانئ شيعيا ، مدافعا عن أمير شيعي ، فكان لا بد أن يغالي في شعره ، لأن مذهبه يفرض عليه الإيمان بمعتقدات خاصة. فالإمام عند الشيعة معصوم من الخطأ ، جمع علم الأنبياء والرسل قبله وتجمع كل ذلك في شخصه وهو ظل الله في الأرض تجب طاعته المطلقة كما أنه فوق كل البشر ، فحين مدح ابن هانئ حسب معتقدات مذهبه لم يكن مغاليا أو كافرا ، بل إنه كان يتبع تعاليم مذهبه ، ويمدح بما يعتقده حقا ، فالإسماعيلية مثلا ، لا يخصون الله تعالى بأسمائه الحسنى ، بل هي خاصة بالإمام. فابن هانئ عندما نسبها للمعز كان يتبع معتقدات راسخة و لم يكن - حسب مذهبه الديني- لا مغاليا و لا كافرا.

و أخيرا أرجو أن أكون قد سلطت بعض الضوء على هذه الظاهرة ، من خلال هؤلاء الشعراء الذين مثلوا أبرز أعلامـــها ، و إن كنت قد وفقت إلى شيء من هذا فبفضل من الله و عزه ، وإن لم أوفق فبتقصـــير مني ، ولا عجب أن لا تصل باحثة مبتدئة مثلي إلى أهدافها منذ المحاولة الأولى ، وأرجو أن أدرك في المحاولة المقبلة إن شاء الله ، و بالله التوفيق.

الفصل الأول

الموقف النقدي من الغلو

1 . نقاد مع الغلو

2 . نقاد ضد الغلو

3 . نقاد الاعتدال أو اللاموقف

أثار الغلو جدلا واسعا بين النقاد و البلاغيين العرب القدامى ،هل يعد من محاسن الكلام أم أنه مجرد تهويل يلجأ إليه الشاعر إذا خانته شاعريته؟ و لم يحسم الخلاف ، بل ظل مفتوحا للآراء المختلفة أحيانا و المتفقة أحيانا أخرى و غـير المحسومـة كثـيرا. وقـد صنف بدر الدين محمد الزركشـي دراسـي المبالغة في ثلاث خانات حسب مواقفهم:

* أحدهـا : إنكـار أن تكـون مـن محاسـن الكـلام لاشتمالهـا عـلى الاستحالـة .
* و الثاني : أنهـا الغايـة فـي الحسـن و أعـذب الكـلام مـا بولـغ فيـه
* و الثالث : و هو الأصح ، أنها من محاسن الكلام ، و لا ينحصر الحسن فيها فإن فضيلة الصدق لا تنكر و لو كانت معيبة لم ترد في كلام الله تعالـى[1].

لكن المواقف لم تكن دائما بمثل هذا الوضوح فأحيانا يكون للناقد الواحد موقفان على طرفي النقيض ، و أحيانا أخرى يكون الموقف مائعا غير محدد و لذلك تم تقسيم النقاد إلى ثـلاث فئـــات :

الفئة الأولى: و هـي المسانـدة للغلـو بكـل وضـوح.

الفئة الثانية : و هـي الرافضـة لــه تمامـــــا .

أما الفئة الثالثة و الأخيرة فهي تجمع بين النقاد الذين يملكون مواقف متناقضة أو غير محددة و الشراح و الملخصين الذين رددوا عبارات منقولة متطابقة.

و البدايـة ستكـون مع النقـاد القابلين للغلو.

أولا : نقاد مع الغلــو

استحسن العديد من النقاد و الأدباء المبالغة وعدوها جوهر الشعر ، و أوّل تصريح بذلك يعود للعصر الجاهلي ، فالحادثة المعروفة بين النابغة الذبياني و حسان بن ثابت الأنصاري ، و النابغة هو القائل : " أشعر الناس من استجيد كذبه و ضحك من رديئه "[2] ، و كان الأساس لظهور اتجاه " أحسن الشعر أكذبه ".

و بعد النابغة يؤكد الخليل (170 هـ) نفس الموقف بتفصيل أكثر و دعم أكبر للشعراء فهم " أمراء الكلام يصرفونه إنّى شاءوا ، و يجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من أخلاق المعنى و تغييره و من تصريف اللفظ و تعقيده و مد المقصور و قصر الممدود و الجمع بين لفاته و التفريق بين صفاته و استخراج ما كلت الألسن عن وصفه و نعته و الأذهان عن فهمه و إيضاحه فيقربون البعيد و يبعدون القريب ، و يحتج بهم و لا يحتج عليهم و

[1] الزركشي، محمد بن عبد الله :البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعرفة بيروت ط2 دون تاريخ، المجلد 3 ص 55

[2] ابن رشبق: العمدة ص281

يصورون الباطل في صورة الحق و الحق في صورة الباطل"[1] و هو من المواقف النادرة التي لا تضع حدا للشعراء بل تفتح أمامهم كل الأبواب و ترفعه إلى منزلة الأنبياء ، فلا يجوز أبدا محاسبته سواء من الناحية اللغوية كمد المقصور و قصر الممدود و هو ما اصطلح على تسميته بالجوازات الشعرية أو من ناحية المعنى على شرط أن يكون من المعاني المستعصية " ما كلت الألسن عن وصفه و نعته و الأذهان عن فهمه و إيضاحه " ، ففي سبيل الوصول إليهم يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره " فتقريب البعيد و إبعاد القريب و تصوير الحق في صورة الباطل و الباطل في صورة الحق " من صور الغلو المقبول عند الخليل و لا حجة على الشعر عنده بل يحتج بهم.

و لابن قتيبة رأي قريب من رأي الخليل فقد أجاز المبالغة إلى حد ما ، و إن لم يكن دائما متساهلا مع الشعراء كالخليل فللمبالغة عنده حدود ، فيفترض إظهار كاد أو إضمارها لتقريب الصورة من الواقع ، حتى لا يصبح الإفراط صورة وهمية لا علاقة لها بالفكرة الأساسية ، ففي قوله تعالى : " و ما بكت عليهم السماء و الأرض وما كانوا منظرين "[2] ، و هذه الصورة معروفة في سنن العرب إذ أرادوا تعظيم مهلك رجل عظيم الشأن : أظلمت الشمس له و كسف القمر لفقده و بكته الريح و البرق و السماء ، و ذلك لغرض " المبالغة " في وصف المهيبة به ، و أنها قد شملت و عمت و ليس ذلك بكذب لأنهم جميعا متواطئون عليه و السامع له يعرف مذهب القائل فيه"[3] ، فبكاء السماء و الريح و البرق أمر مستحيل في الواقع لكنه في القول مقبول باعتباره ضربا من المبالغة في الوصف المتعارف عليها بين العرب ، غير أن بعض اللغويين يعتبرون مثل هذه الصور المبالغة إفراطا و تجاوزا للمقدار ، لكن ابن قتيبة لا يوافقه الرأي فيقول : " و كان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء في هذا الفن و ينسبها إلى الإفراط و تجاوز المقدار، و ما أرى هذا إلا جائزا على ما بيناه من مذاهبهم ، كقول النابغة :

تقد السلوقي المضاعف نسجه و توقد بالصفـــــاح نار الحباحب[4]

كان إسحاق بن وهب أشد النقاد حماسا في قبول الغلو فلم يضع له حدا يقف عنده حين قال للشاعر أن يقتصد في الوصف أو التشبيه أو المدح أو الذم ، و له أن يبالغ و له أن يسرف حتى يناسب قوله المحال و يضاهيه و لا يستحسن السرف أو الكذب و الإحالة في شيء من القول إلا في الشعر"[5] و هذا موقف فريد منه ، فما من ناقد استحسن المحال و الإسراف صراحة و دون تحرز مثله ، رغم ارتباطه بالقرآن و الفقه في كتابه البرهان في وجوه البيان[6]. استشهد ابن وهب الإقتصاد في المعنى أي الدرجة الممكنة ، قريبة الوقوع بقول عنترة بن شداد :

---

[1] القرطاجني حازم:منهاج البلغاء و سراج الأدباء تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، دار الكتب الشرقية ،تونس1964 ص143- 144

[2] سورةالدخان آية29

[3] ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص 127

[4] نفسه:ص127

[5] بدوي ،أحمد أحمد:أسس النقد الأدبي عند العرب مكتبة نهضة مصر الفجالة ط3 ، 1964ص442

[6] طبانة،بدوي:البيان العربي ،دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب و مناهجها و مصادرها الكبرى، مكتبة الأنجلومصرية القاهرة،ط6 ، 1396هـ/1976م ص118

يخبرك من شهـــــــــــد الوقيعــة أنني أخشى الوغى و أعف عند المغنم

كما استشهد للمبالغة التي تقدم المعنى بصورة ممكنة لكنها بعيدة الوقوع بقول الشاعر :

بطعنهم ما ارتموا ، حتى إذا طعنوا ضارب ، حتى إذا ضـــــربوا اعتنقا

فهو مثال الشجاعة و البسالة و التفوق القتالي[1] و ختم درجات المعنى بالإسراف الذي هو تصوير المعنى بصورة مستحيلة الوقوع ، فقال : " و مما أسرف فيه الشاعر حتى أخرجه إلى الكذب و المحال ، و هو مستحسن قول أبي نواس :

تغطيت من دهري بظل حنانه فعيني ترى دهري و ليس يراني

فلو تســـأل الأيـــام عني ما درت و أين مكاني ما عرفن مكانـــــي

كان قدامة بن جعفر معاصرا لابن وهب و رأيه في الغلو مقارب له كذلك حيث كان جريئا في قبوله لكن قبوله أكثر وضوحا و تفصيلا في موقفه ، فالبداية كانت بتوضيح الاختلاف الذي وقع فيه باقي النقاد بين الغلو في المعنى أو الاقتصار على الحد الأوسط دون أن تكون الأسباب أو الحجج واضحة لهم " و أكثر الفريقين لا يعرف من أصله ما يرجع إليه و يتمسك به ، و لا من اعتقاد خصمه ما يدفعه و يكون أبدا مضادا له ، لكنهم يخبطون في ظلماء ، فمرة يعمد الفريقان إلى ما كان من جنس قول خصمه فيعتقده و مرة يعمد إلى ما جانس قوله في نفسه فيدفعه و يعتقد نقضه "[2] و يدعم رأيه بشواهد شعرية ، فبعض النقاد يرى أن قول مهلهل بن ربيعة :

فلولا الريح أسمع من بحجـــــــــر صليل البيض تقرع بالذكـــــــور

خطأ من أجل أنه كان بين موضع الموقعة و بين حجر مسافة بعيدة جدا ، و كذلك رأيهم في قول النمر بن تولب :

أبقى الحـــــوادث و الأيام من نمـــر أسبـــــــــاد سيف قديم أثره باد

تظل تحفر عنـــده إن ضـــربت به بعد الذراعين و الساقين و الهادي

و قول أبي نواس :

و أخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

و هم إذ يرفضون هذه الأبيات لما تضمنته من كذب و غلو ، ثم يعجبون بنقد النابغة الذبياني لبيت حسان بن ثابت :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى و أسيافنا من نجدة يقطرن دما

انتقد النابغة حسانا عندما قال : الغر ، الضحى و يقطرن و طالبه باستبدالها بـ : البيض ، الدجى و يجرين[3].

و يسترسل قدامة في شرح ما أخذه على هؤلاء النقاد : " فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا أن هذا المذهب في الطعن على شعر حسان غير المذهب الذين كانوا معتقدين له من الإنكار على مهلهل و النمر و أبي نواس لأن المذهب الأول إنما هو لمن أنكر الغلو ، و الثاني لمن استجاده ، فإن النابغة –على ما حكي عنه- لم يرد من حسان إلا الإفراط و الغلو بتصييره مكان كل معنى وضعه ماهو فوقه و زائد عليه "[4] ، فهم لا يدركون حقيقة الغلو كما يدركها

---

[1] سلام، محمد زغلول : أثر القرآن في تطور النقد العربي حتى آخر القرن الرابع الهجري ، دار المعارف – مصر ط 3 / 1968 ص 132 .

[2] ابن جعفر ،قدامة :نقد الشعرص 58.

[3] ابن جعفر ،قدامة:نقد الشعرص58- 61 .

[4] نفسه: ص 61 .

قدامة و أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما حين قالوا : أحسن الشعر أكذبه ، و هو رأي فلاسفة اليونان و مذهب قدامة الذي يخطئ من خلافه و أنكر على مهلهل و النمر و أبي نواس قولهم السابق ، و غيرهم ممن ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة و كل فريق إذا أتى من المبالغة و الغلو بما يخرج عن الوجود ، و يدخل في بال المعدوم ، فإنما يريد به المثل و بلوغ النهاية في النعت و هذا أحسن من المذهب الآخر فإن قول النابغة الجعدي في معنى قول النمر على مذهب الإقتصاد و لزوم الحد الأوسط :

و قد أبقت صروف الدهر مني كما أبقت من السيف اليمـــاني

دون قول النمر ، لأن في قول النمر دليلا قريبا على أن ما بقى منه أكثر مما بقى من النابغة.

و كذلك قول كعب بن مالك الأنصاري في معنى قول مهلهل و وصفه صوت الضرب :

من سرّه ضرب يرعبل بعضه بعضا كمعمعة الأباء المحرق

دون قول مهلهل مما يدل على أن الضرب الذي ذكره أشد و أبلغ.

و كذلك قول الحزين الكناني في معنى قول أبي نواس :

يغضي حياء و يغضي من مهابته فما يكلم إلا حـــــين يبتســـم

دون قول أبي نواس ، لأن هذا و إن كان قد وصف صاحبه بما دل على مهابته ، فإن قول أبي نواس دليل على عموم المهابة و رسوخه في قلب الشاهد و الغائب "[1] ، فقدامة هنا يوضح بشكل عملي ما شرحه نظريا ، في جوهر الشعر بلوغ الغاية و المثل ، لا مجرد إيصال المعنى للمستمع ، هذا الدفـــاع المستميت من قبل قدامة عن الغلو دفع إحسان عباس للتساؤل : " أليس لهذا الغلو حد يقف عنده ، أو بعبارة أخرى هل يبلغ الغلو مرحلة لا يكون فيها مقبولا ؟[2] و يجيب قدامة على ذلك برصد عيب من عيوب المعاني " إيقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه و يمكن كونه "[3]. و يستشهد بقول أبي نواس :

يا أمين الله عش أبدا دم على الأيام و الزمن

" فليس يخلو على هذا الشاعر من أن يكون تفاؤلا لهذا الممدوح بقوله عش أبدا ، أو دعا له و كا الأمرين مستقبح لا يجوز "[4] ، وينفي عن البيت صفة الغلو و الإفراط بل هو خروج عن حد الغلو لسبب بسيط هو أنه ليس في طباع الإنسان أن يعيش أبدا و لا مكان لبكاء في البيت حتى لا سبـــيل للدعاء ، فلا بد من وجـــــــــــود موضع لـ " كاد " ، " ليعتبر البيت غلوا مقبولا "[5] ، و أظهر التناقض الذي وقع فيه قدامة ، حين قبل بيت أبي نواس الأول و رفض الثاني ، فليس في طباع النطف أن تخاف و فسر الدكتور مصطفى الجوزو الأمر على أن " الفرق بين الغلو و الخروج عنه هو الفرق بين الخبر و الإنشاء فالجمل الخبرية تدخل عليها كاد فهي مستساغة و لو خرجت عن طباع الشيء كما في قول أبي

---

[1] ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 61 – 62 .

[2] اعباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، دار الثقافة – بيروت ط 5 – 1406 هـ / 1986 م ص 199 .

[3] ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 213 .

[4] نفسه: ص 213 .

[5] نفسه: ص 214 .

نواس الأول ، و الجمل الإنشائية لا تقبل كاد فهي غير مستساغة إطلاقا ، بالتأكيد أن قدامة لا يقصد ذلك لكن الآلية التبسيطية أدته إلى هذا المعنى و أوقعته في التناقض "[1].

جمع المرزباني في موشحه آراء عدة بعضها تقف مع الغلو ، و بعضها ضده ، لكنه يذهب مذهب قدامة في المبالغة عند مقارنة مدح الأعشى بمدح كثير عزة ، فيقول : " ... أنشد كثير عبد الملك مدحته التي يقول فيها :

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المســـــــــدى سردها و أنالها
يؤود ضعيف القـــــــــوم حمل فتيرها و يستضلع القوم الأشم احتـــــمالها

فقال له عبد الملك : قول الأعشى لقيس بن معدى كرب أحب إلي من قولك إذ تقول : و قال ابن أبي خيثمة في حديثه : ألا قلت كما قال الأعشى :

و إذا تجيء كتيبـــــــــة ملمومـة خرساء يخشى النائدون نهالها
كنت المقدم غـــــير لا بس جنه بالسيــف تضرب معلما أبطالها

فقال : يا أمير المؤمنين ، وصف الأعشى صاحبه بالطيش و الفرق و التغرير و وصفتك بالحزم و العزم ، فأرضاه.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني –رحمه الله- : رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير ، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ، و الأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديدا بغير جنة ، على أنه و إن كان ليس الجنة أولى بالحزم و أحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له و لا لغيره إلا لبس الجنة،و قول كثير يقصر عن الوصف" [2].

وعندما شرح أبو الفتح عثمان بن جني بيت المتنبي :

فتى يملأ الأفعال رأيا و حكمة و بادرة أحيان يرضى و بغضب

رأى أن الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة [3] ، فالمبالغة عنده ليست عيبا و هو يؤيدها.

وضع أحمد بن فارس معادلة فريدة في تاريخ النقد عند العرب ، فالشعر عنده مرادف للغلو و الكذب و الإفراط. فالإنسان لا يسمى شاعرا " لو عمل كلاما مستقيما موزونا يتحرى فيه الصدق من غير أن يفرط أو يتعدى أو يمين أو يأتي فيه بأشياء لا يمكن كونها بته لما سماه الناس شاعرا و لكان ما بقوله مخسولا ساقطا[4]. فالغلو من دعائم الشعر و أكثر من ذلك ينتسب قولا لأحد العقلاء مفاده أن الشعر " إن هزل أضحك و إن جد كذب "[5] ، و الغلو أيضا دليل على المهارة و الإبداع فالعرب تفرط في صفة الشيء مجاوزة للقدر اقتدارا على الكلام "[6] و يطعم مواقفه بشـــواهد شعرية ، قال الشاعر :

---

[1] مصطفى الجوزو : نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية) دار الطليعة للطباعة والنشر ط 1 – 1402 هـ / 1981 م ص 156 .

[2] المرزباني: الموشح ص230-232.

[3] ابن رشيق :العمدة ص392-393

[4] ابن فارس أحمد: الصاحي في فقه اللغة العربية ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف – بيروت الطبعة 1 سنة 1993 ص 266 .

[5] نفسه :ص 266 .

[6] نفسه: ص 260 .

بخيل تظل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجدا للحوافر

و قول آخر :

لما أتى خبر الزبـــــير تواضعت سور المدينة و خشعت الجبال[1]

أثبت العسكري وقوع الغلو في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : " و بلغت القلوب الحناجر "[2] و هذا كاف للدلالة على أن العسكري لا يعارض الغلو و يقبله في الشعر و يذكر أمثلة به من القديم و الحديث ، و بدأها بامرئ القيس في قوله :

من القاصرات الطرف لو دب محول من الدر فوق الإتب منـــــــــــــها لأثرا[3]

ثم بالبحتري مادحا :

و لو أن مشتاقا تكلف غير ما في وسعه لسعى إليك المنبر[4]

و هذا الرأي منه يوافق مفهومه للبلاغة " كشف ما غمض عن الحق و تصوير الحق في صورة الباطل "[5] ، و يذكر د. رجاء عيد تعليقا للعسكري على هذا المفهوم " و الذي قاله أمر صحيح لا يخفي موضع الصواب فيه على أحد من أهل التعبير و التحصيل ، و ذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحـــة و يحوج إلى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه صحيحا ، و إنما الشأن في تحسين ما ليس يحسن و تصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاختلال و التحليل ، و نوع من العلل والمعاريض (المعاريض التورية بالشيء على الشيء) ، و المعايير ليخفي موضع الإشارة و يغمض موضع التقصير ... فأعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في موضع محمود ، و للمحمود حتى يصير في صورة المذموم "[6] ولكن هذا القول ليس مطلقا فهو يربطه بورود شرط ما أو كاد و ما يجري مجراها و إذا خرج المبالغ إلى المحال أو شاب غلوه الاستعارة و قبيح العبارة كان عيبا[7] كقول المتنبي :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدنا

" سئل عما فيه الأفلاك والدنا ، فقال : علم الله ، و نيته لا تدل عليه ، فأفرط عمى و جمع دنيا على قول أهل الأدوار و النسب "[8]

ليس للباقلاني موقف صريح من الغلو لكنه يضم آيتين شريفتين لأبيات فيها الغلو مما يدل على أن الغلو في حد ذاته ليس مذموما ، فإلى جانب بيت النابغة المتكرر عن السيوف يقول الباقلاني : " و من هذا الجنس في القرآن : " يوم يقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد "[9] و قوله : " تكاد تميز من الغيظ "[10 ، 1]

---

[1] ابن فارس : الصاحي في فقه اللغة العربية ص 261 .
[2] سورة الأحزاب آية 10 .
[3] إمرؤ القيس: الديوان ،شرح عبد الرحمان المصطاوي،دار المعرفة بيروت ،دون تاريخ ص97 .

[4] العسكري : كتاب الصناعتين ص 363 .
[5] عيد رجاء : فلسفة البلاغة ص 15 .
[6] نفسه: ص 15 .
[7] العسكري : كتاب الصناعتين ص 363 .
[8] نفسه: ص 364 .
[9] سورة ق آية 30 .
[10] سورة الملك آية 8 .

كذلك الأمر بالنسبة للقاضي عبد الجبار فهو يؤكد وجود المبالغة في القرآن الكريم كقوله تعالى : " قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك "[2] و جواب القاضي على سؤال : " كيف ينتقل العرش كل هذه المسافة في هذا الوقت ؟ ". إن سرعة الحركة و التحريك لا يعلم منتهى حده فلا سريع إلا يجوز أسرع منه فلا يمنع صحة ذلك إذا كان الله تعالى مقويا عليه ، و معنى : " قبل أن يرتد إليك طرفك " المبالغة في الإسراع لأن ذلك قد يقال في الأمر السريع شديد السرعة "[3] و هذا الأسلوب لا يخرج عن سنن العرب في التعبير كما لاحظ ذلك ابن قتيبة سابقا و أكدّه الدكتور عبد الفتاح لاشين في دراسة لبلاغة القاضي عبد الجبار " فنحن نرى أن للقاضي عبد الجبار رأي في تلك الآيات الكريمة: أن المراد بالعموم المبالغة و التكثير و ليس المراد ظاهرها ، و قد جرى هذا الأسلوب عن طريقة العرب و مذهبهم في التكثير و المبالغة " [4].

وكان للشريف المرتضى (ت 426 هـ) رأي يفتح للشـــــاعر كل الأبواب فلا حدود عنده للغة الشعـــرية و المبالغة من أهم دعائمها ، فالشاعر عنده " لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق و التحديد ، فإن ذلك متى أعتبر في الشعر بطل جميعه ، و كلام القوم مبني على التجوز و التوسع و الإشارات الخفية و الإيماء على المعاني تارة من بعد و أخرى من قرب لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة و أصحاب المنطق ، و إنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم و يفهم أغراضهم ... و من شأن العرب أن تجري على الشيء الوصف الذي قد كان يستحقه و قرب منه القرب الشديد فيقولون قتل فلان هوى فلانة ، و دله عقله ، و أزال تمييزه ، و أحرج نفسه ، كل ذلك لم يقع و إنما أرادوا المبالغة " [5] ، فالشعر عنده غير النثر ، مختلفان في الأسلوب و الغاية معا فالتحقيق و التدقيق إن وجد في الشعر بطل جميعه " لسبب بسيط فهو لا يخاطب الفلاسفة و أصحاب المنطق و إنما يخاطب قوما مصطلحون على جواز التوسع و المبالغة فإذا قال الشاعر مغاليا :

من رأى مثـــل حبـــتي تشبه البدر إذا بـــــدا
تدخـــــــــل اليوم ثم تـــد خل أردافها غـــــــــدا

أو كما قال آخر :

تمشي فتثقلها روادفهـــــــا فكأنما تمشي إلى خلـف

فالتأكيد أن أيا منهما لا يقصد المعنى الحرفي لصورته ، فلو قسيت أيا منهما بالواقع الخارجي لأدى ذلك إلى الاستهجان و الاستغراب لكنهما شعريا تمثلان الجمال المثالي عند العرب الذين اعتادوا " أن يستعملوا مثل هذا فيشبهن الكفل بالكثيب و بالدعص و بالتل و يشبهون الخصر بوسط الزنبور ، و بمدار حلقة الخاتم ، و يعدون هذا غاية المدح و أحسن الوصف ، و نحن نعلم أن لو رأينا من خصره مقدار وسط الزنبور و كفله كالكثيب العظيم لاستبعدناه و استهجنا صورته لنكارتها و قبحها و إنما أتوا بألفاظ المبالغة صنعة و تأنقا لا لتحمل على ظواهرها تحديدا أو تدقيقا ، بل ليفهم منها الغاية المحمودة و النهاية المستحسنة

---

[1] الباقلاني : إعجاز القرآن ص 102 – 103 .
[2] سورة النمل آية 40 .
[3] لاشين عبد الفتاح : أثر القرآن في بلاغة القاضي عبد الجبار ص 412 .
[4] نفسه:ص413
[5] المرتضي الشريف : أمالي المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد ــ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – القاهرة 1954 ج 2 ص 95 – 96 .

" [1] و هذه هي صيغة الشعر الجميل ، فكل ما هو غير معقول أو مرفوض في الواقع حوله بلغته و صوره إلى جمال و حسن.

لم يكن لابن منقذ موقف محدد من المبالغة في الباب الذي أفرده لها في بديعه لكنه أفرد بابا آخر لذم التفريط فتكون النتيجة المنطقية لهذا أنه لا يرفض المبالغة ، فالتفريط عنده : " أن يقدم الشاعر على شيء فيأتي بدونه فيكون تفريطا منه إذ لم يكمل اللفظ أو يبالغ في المعنى " [2] ، و من بين الأمثلة التي يضربها توضيحا قول الأعشى :

و يأمر لليحمـــــــــوم كل عشية بقت و تعليق و قد كان ينسق

قال الأصمعي : " أقل حمار لطحان ينال هذا " [3]

كان حازم القرطاجني خاتمة النقد الأدبي القديم قبل أن يغوص في الجمود ، كما كان خاتمة النقاد الذين أجازوا الغلو في الشعر ليصل الشاعر إلى غرضه إذا قصد إلى " تحسين حسن و تقبيح قبيح ، فإنه متمكن من القول الصادق و المشهود فيهما ، و أكثر أقوال الشعراء في هذين القسمين إذا لم يقصدوا المبالغة ما يحاكونه و يصفونه ، صادقة اللهم إلا أن يقصدوا المبالغة في تحسين حسن أو تقبيح قبيح فيتجاوزون حدود أوصافه الحقيقة و يحاكونه كما هو أعظم منه حالا أو أحقر ليزيد النفوس استمالة إليه أو تنفيرا عنه " [4]، فللشاعر أن يكون صادقا في وصفه كما له أن يقصد المبالغة فيتجاوز حد الحقيقة ليكون أكثر تأثيرا في المتلقي و ليس للشاعر دائما حق الاختيار بل يجب عليه أحيانا أن يبالغ في مدح فضائل الملوك و الخلفاء ، يجب أن " يكون بأفضل مما يتفرع من تلك الفضائل و أكملها كنصر الدين و إفاضة العدل و حسن السيرة و السياسة و العلم و الحلم و التقى و الورع و الرأفة و الرحمة و الكرم والهيبة و ما أشبه ذلك و ينبغي أن يتخطى في أوصافهم من جميع ذلك حدود الإقتصاد إلى الإفراط " [5]، و ليس المدح الغرض الشعري الوحيد الذي يجيز حازم اللجوء فيه للغلو بغية الوصول إلى الغاية المنشودة بل يجوز استخدام المستحيل الذي سبق و أن رفضه في الشعر عند قصد الزراية و السخرية و الإضحاك كقول الطرماح :

و لو أن برغوثا على ظهر نملة يكر على صفي تميـــــم لولت

" فهذا و أشباهه إنما استعمل على جهة الزراية و الإضحاك فهو مقصود به غرض ما ، يسوغ معه ما لا يسوغ دونه " [6]، فكأني بحازم يطبق مقوله " الضرورات تبيح المحظورات " فالغلو مطلوب في المدح و جائز في السخرية و كثير في القول حيث أجاز الاختلاف الإمكاني الذي أوجزه الدكتور مصطفى الجورو بقوله : " الاختلاف الإمكاني : و هو الذي يدعي فيه الإنسان مثلا أنه محب و يذكر محبوبا تيمه و منزلا شجاه من غير أن يكون كذلك مع أن الأمر يمكن أن يقع له و لغيره من أبناء جنسه ... و هو يقع للغرب في جهات الشعر و أغراضه " [7]

---

[1] المرتضي الشريف : الأماليجزء2/ ص 96 .
[2] ابن منقذ : البديع في نقد الشعر ص 213 .
[3] نفسه:ص 214 .
[4] القرطاجني حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص 73 .
[5] نفسه:ص 170 .
[6] نفسه:ص 135 .
[7] الجوزو مصطفى :نظرية الشعر عند العرب ص 177 .

انضم السلجماسي للبلاغيين المؤيدين للغلو و بشدة و كان موقفه واضحا ، فقد بدأ بتوضيح انقسام النقاد إلى رأيين فقال : " فقوم – و هم الأكثرون – يرون أن الشريطة فيه و ملاك أمره هو أن يتجاوز فيه حال نوعي الوجود العقلي و الحسي إلى المحال و الكذب و الاختراع ، و قوم يرون التوسط فيه أكثر و أحمد و أفضل في الصناعة إحجاما و رهبة للاختراع و الكذب " [1]

يقرر السلجماسي من البداية أن أكثر البلاغيين مع الغلو ، بل أكثر من ذلك يرون أنه شرط ضروري و للوقوف على أرجح الرأيين ، لا بد من البحث عن موضوع الشعر أولا و يقرر السلجماسي أنه التخييل و الاستفزاز[2] وعلى هذا الأساس " فمن البين بنفسه أن الرأي الأول آثر و أنحل في الأمر الصناعي أخذ في القول الشعري مخيلا أو ممتنعا و أن رهبة الفريق الثاني من الإقدام على الكذب المحض و القول المخترع و المحال خارج عن الأمر الصناعي و الحق هو الأول " [3] لا يكتفي السلجماسي هنا بترجيح الرأي الأول بل يصدر حكمة على الفريق الثاني ، فالحكم على الشعر لا يكون بصدقه أو كذبه.

ثانيا : نقاد ضد الغلـو

اتخذ بعض النقاد العرب القـــدامى موقفا رافضا للمبالغة و الغلو ، داعيا للاقتصـــار على الحد الأوسط، و كان الجاحظ(ت 255 هـ) في مقدمتهم ، حيث كرر رفضه للمبالغة في

[1] السجلماسي : المنزع البديع ص 274 .
[2] المرجع السابق ص 274 .
[3] السجلماسي : المنزع البديع ص 275 .

كتبه المشهورة ، فمما جاء في البخلاء : " زعموا أن رجلا قد في البخل غايته ، و صار إماما ، و أنه إن صار في يده الدرهم خاطبه و ناجاه و فاداه و استبطاه ... فلما مات و ظنوا أنهم قد استراحوا منه ، قدم ابنه فاستولى على ماله و داره ، ثم قال : و ما كان أدم أبي ؟ فإن أكثر الفساد إنما يكون في الأدام ، قالوا : كان يتأدم بجبنة عنده ، قال : فهذا أهلكني ، و بهذا أقعدني هذا المقعد لو علمت ذلك ما صليت عليه ، قالوا : فأنت كيف تريد أن تصنع ؟ قال : أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة ، و لا يعجبني هذا الحرف الأخير لأن الإفراط لا غاية له ، و إنما نحكي ما كان في الناس و ما يجوز أن يكون فيهم مثله ، أو حجة أو طريقة ، فأما مثل هذا الحرف فليس مما نذكره " [1]، المبالغة يمكن أن يقبلها الجاحظ إذا صورت ما كان في الناس أو ما يجوز أن يكون منهم ، أما إذا خرجت إلى الإفراط الذي لا يمكن تحققه في الموصوف فهذا ما يرفضه الجاحظ.

و يؤكد هذه الفكرة في البيان و التبيين حيث يقول : " و في الإقتصاد بلاغ و في التوسط مجانبة للوعورة ، و خروج من سبيل من كان يحاسب نفسه و قد قال الشاعر :

عليك بأوســـــــاط الأمور فإنها نجاة و لا تركب ذلولا و لا صعبا

و قال آخر :

لا تذهبن في الأمـــور فرطا لا تسألنا إن سألت شططا
و كن من الناس جميعا وسطا

و ليكن كلامك ما بين المقصر و الغالي ، فإنك تسلم من المحنة عند العلماء و من فتنة الشيطان " [2]، و في كتابه الحيوان أعجب الجاحظ بأشعار المقتصدين :

تركـــــــت الركاب لأربـــــابها فأجهدت نفسي على ابن الصعق
جعلت تـــــــــدق وشاما له و بعض الفـــــــوارس لا يعتنق

و ممن صدق على نفسه عمرو بن الأطنابة حيث يقول :

و إقدامي على المكـــــروه نفسي و ضربي هامـــــــــة البطل المشيح
و قولي كلما جشأت و جاشـــت مكانك تحمـــــــــدي أو تستريحي

و قال قطري بن الفجاءة :

و قولي كلما شجـــــــأت لنفسي من الأبطال ويـــــــحك لن تراعي
فإنك لو سألت حيـــــــــاة يوم سوى الأجل الذي لك لن تطاعي

و قالت الخنساء :

يهين النفوس و هون النفـــــوس غداة الكريهـــــــة أبقى لهـــا[3]

و اعتدال هذه الأشعار هو سبب إعجاب الجاحظ بها.

و دائما في كتاب الحيوان يرفض الجاحظ الأشعار المفرطة و يلوم أصحابها " فإن النسور تتبع العسكر ، و تتبع الرفاق ذوات الإبل ، و قد تفعل ذلك العقبان و تفعله الرخم ... و قد أكثر الشعراء في هذا الباب حتى أكنب بعض المحدثين و هو مسلم بن الوليد بن يزيد فقال :

---

[1] الجاحظ : البخلاء ص 131 – 132 .

[2] الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي – مصر ومكتبة المثنى – بغداد 1381 هـ / 1961 م ط 2 في داخل الكتاب مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1380 هـ / 1960 م مجلد 1 ج 1 ص 255 .

[3] الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 425 – 427.

يكسو السيوف نفوس الناكثين بــه و يجعـــــــــل لها تيجان القنا الذبل
قد عود الطير عادات و ثقن بـــها فهن يتبعنـــــــــه في كـــــــل مرتحـل

و لا تعلم أحدا منهم أسرف في هذا القول و قال قولا يرغب عنه إلا النابغة فإنه يقول :

جوانـــح قد أيقـــــــن أن قبيلـــه إذا ما التقـى الجمعـــان أول غالـــب

و هذا لا نثبته ، و ليس عند الطير و السباع في اتباع الجموع إلا ما يسقط من ركابهم و دوابهم ، و توقع القتل ، إذ كانوا قد رأوه من تلك الجموع مرة أو مرارا ، فأما أن تقصد بالأمل و اليقين إلى أحـــــد الجمعين ، فهذا ما لم يقله أحد " [1]

ثم ينتقل الجاحظ إلى الشعراء الذين وصفوا الضرب و الطعن و يلوم من أفرط منهم : " و قال ابن هرمة :

بالمشرفية و المظاهر نسجـــها يوم اللقاء و كل ورد صـــــاهل
و بكل أروع كالحريق مطاعـن فمسايف فمعـــــــــانق فمنازل

و إذ قد ذكرنا شيئا من الشعر في صفة الضرب و الطعن فقد ينبغي أن نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب من إسراف من أسرف و اقتصاد من اقتصد ، فأما من أفرط فقول مهلهل :

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

و قال الهذلي :

و الطعن شغشغة و الضرب هيقعة ضرب الهول تحت الديمة العضـدا
و للقسي أن أميـــــل و غمغمـــــة حس الجنوب شوق الماء و القردا*

و من ذلك قول عنترة :

برحيبة الفرعين يهدي جرسهـــــــا بالليل معنس السبـــــــاع الضرم**

و قال أبو القيس الأسلت :

قد حصت البيضة رأسي فما أطعـــم نوما غير تهجـــــــــــاع

و قال دريد بن الصمة :

أعـــــــاذل إنما أفني شبابـي ركوبي في الصريخ إلى المنـــادي
مع الفتيان حتى خل جسمـــي و أقرح عاتقي حمل النجـــــــــاد

و مما يدخل في هذا الباب قول عنترة :

رعناهم و الخيل ترتدي بالقنـا و بكل أبيض صـــــــارم قصال [2]
و أن المنية في المواطـــــن كلها و الطعن من سبـــــــاق الآجال

و هذه الأمثلة توضح موقف الجاحظ الرافض للإفراط الذي " يبلغ الغاية " ، فهو رفض شعر المهلهل لبعد المسافة بين منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام و حجر و هي قصبة اليمامة فوصول الصوت عبرها مستحيل.

و كذلك مبالغة الهذلي و غلو عنترة الذي ادعى أن صوت ضرباته يهدي السباع الجائعة التي تجد طعامها في جثث قتلاه و ادعى أكثر من ذلك عندما جعل طعناته سبق الآجال.

---

[1] الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 322 – 325 .

[2] الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 418 –420.

رفض الجاحظ في رسائله الغلو حتى في المدح و طالب الشاعر فيه بالصدق و التزام الدقة ، فقال : " و أنفع المدائح للمادح و أجداها على الممدوح و أبقاها أثرا و أحسنها ذكرا أن يكون المديح صدقا و للظاهر من حال الممدوح موافقا و به لائقا حتى لا يكون من المعبر عنه و الواصف له إلا إشارة إليه و التنبيه عليه " [1]

رفض محمد بن يزيد المبرد الغلو و دعا إلى القرب من الواقع أو الالتزام بهفي التعبير الشعري ، و قد ذكر صاحب الموشح جزءا من آرائه : " أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي عن محمد بن يزيد المبرد قال : في المحدثين إسراف و تجاوز و غلو و خروج عن المقدار ، من ذلك قول بكر بن النطاح :

نمشي على الخز من تنعـمها فيشتكي رجـــلها من النزف
لو مر هارون في عســـاكره ما رفعت طرفها من السجف[2]

كما أورد له لوما عنيفا لأبي نواس على إفراطه في مدح الرشيد و نسبه إلى الكفر الصريح ، قال : و من شعره –يقصد أبا نواس- الذي يذم قوله في الرشيد :

لقد اتقيت الله حق تقـــــــــــاته و جهدت نفسك فوق جهد المتقي

و ليس هذا البيت أردت ، و لكن ذكرته للذي بعده ، لأنه معطوف عليه متصل به ، و هو :

و أخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافـــك النطف التي لم تخلق

هذا البيت بادي العوار جدا ، و قد ردّه في مكان آخر ، فقال :

هـــــــارون ألفت ائتلاف مودة ماتت لها الأحقاد و الأضـــغان
حتى الذي في الرحم لم يك صورة لفـــؤاده من خوفـــــه خفقان

و ما لم يك صورة فكيف يكون له فؤاد ؟ فقد أحال و أسرف وتجاوز " [3]

كما ذكر له بعد ذلك شعرا في مدح الأمين ، أنكره أشد الإنكار " قال : و قد قال أبو نواس شيئا من الشعر في الأمين اتهم فيه لأنه قال قولا عظيما لا يتكلم بمثله مسلم و هو قوله :

تنازع الأحمدان الشبـه فاشتبها خلقا و خلقا كما قد الشراكان
اثنان لا فصل للمعقـــول بينهما معناهما واحد و العـــدد اثنان

... و مما أكثر من قوله :

يا أحمـــــــــد المرتجى في كل نائبة قم سيدي نعص جبار السماوات

لأن هذه أعظم جرأة و أقبح مجاهرة ، و أشد تبغضا إلى العزيز الجبار أن يقول " قم نعص جبار السماوات " ، فذكر المعصية مع ذكر الجبار عز اسمه و أن إياه يقصد العصيان " [4]

و لم يقتصر ذم المبرد للشعر المفرط الذي يمس الجانب الديني و يمكن أن يصل إلى درجة الكفر ، بل ذم كل الشعر المغالي ، فمما جاء في العمدة " و قد قال الحذاق خير الكلام الحقائق ، فإن لم تكن فما قاربها و ناسبها و أنشد المبرد قول الأعشى :

---

[1] محمد بن عبد الغني المصري : نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي ، دار مجدلاوي عثمان الأردن ط 1 – 1407 هـ / 1987 م ص 230 .
عن رسائل الجاحظ ج 1 ص 36 – 38 مناقب الترك .
[2] المرزباني : الموشح ص 456 .
[3] نفسه: ص 415 – 416 .
[4] نفسه: ص 416 – 417 .

فلو أن ما أبقين مني معلق بعود تمام ما تأود عـــــودها

فقال : هذا متجاوز و أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه و أحسن منه ما أصاب الحقيقة فيه " [1]

و كان المبرد يضع الشعر في درجات أو مراتب فالشعر الملتزم بالواقع و الواصف للحقيقة في أعلى السلم ، و أقل منه الشعر المقارب لها في الشبيه أما الدرجة الأخيرة فهي للشعر المغالي.

ذكر الثعالبي (ت 429 هـ) الغلو في سياق تعداده لعيوب المتنبي فاعتبره من الهفوات التي تسقط الشعر و لا تغتفر ، فكان رافضا له تماما. " ... فبينما هو يصوغ أفخر حلي و ينظم أحسن عقد و ينسج أنفس وشي و يختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت و البيتين في أبعاد الإستعارة و تعويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلف و الزيادة في التعمق و الخروج إلى الإفراط و الإحالة ... فهجا تلك المحاسن و كدر صفاءها ، و أعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها و استهدف لسهام العاتبين و تحكك بألسنة الطاعنين " [2]

ثم أفرد الثعالبي بابا خاصا لهذا العيب بدأه بعدة أبيات أفرط فيها المتنبي كقوله :

و قالوا ما اشتهوا بالحرم هونا و صاد الوحش نملهم دبيبا

و قوله :

و ضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجـــــلا
فبعده و إلى ذا اليـــــــوم لو ركضت بالخيل في لهوات الطفـــل ما سعلا

وقوله :

وأعجب منك كيف قدرت تنشـــأ وقد أعطيت في المهد الكمـــالا
وأقسم لو صلحت يمين شـــــــيء لما صلح العبـــــاد له شـمـالا

وقوله :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر

وقوله :

ولو قلم ألقيت في شـــق رأســـــــه من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقوله :

من بعد ما كان ليلـــي لا صبـــاح له وكأن أول يوم الحشـــــــر آخـــــره

فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيرا من النقدة لا يرتضون هذا الإفراط كله[3]

---

[1] ابن رشيق : العمدة ص 287 .

[2] الثعالبي ،أبو منصور عبد الملك بن محمد : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر – بيروت ط 2 – 1393 هـ / 1973 م مجلد 1 ج 1 ص 148 .

[3] الثعالبي : يتيمة الدهر ص 164 .

ولم يوضح الثعالبي الأمر أكثر من ذلك ولم يبيّن مَن مِن النقدة رفض الإفراط ، وكان جامعا أكثر منه ناقدا.
ومن عيوب المتنبي التي عددها الثعالبي ضعف العقيدة وفي هذا الباب جمع عددا من الأبيات التي تضمنت غلوا يمس بالجانب الديني ، وعابها الثعالبي رغم أنه ذكر في بداية الفصل " ... أن الديانة ليست عيارا على الشعراء ولا سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولا وفعلا ونظما ونثرا ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيرا ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله :

يرتشفن من فمي رشفـــات هن فيه أحلى من التوحيـد

وقوله :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإله ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح بها العلوي :

وأبهـر آيات التهامـــى أنـــــــه أبو كم ، وإحدى ما لكم من مناقب

وقوله :

تتقاصر الأفهام عــن إدراكـــــه مثل الذي الأفـــلاك فيه والدنـــــا

وقد أفرط جدا ، لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل.

وقوله :

الناس كالعابديـــــن آلـهـــــــة وعبـــده كالموحـــــد اللاهـــــا

وقوله :

ولو كان علمك بالإله مقسمـــا في الناس ما بعث الإله رســولا
أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـــ توراة والفرقان والإنجيـــــلا

وقوله :

ولو كان ذو القرنين أعمل رأيـــــه لما أتى الظلمات صرن شموســا
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيســـــى

عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة و السلام ، بإذن الله عز وجل.

أو كان لج البحر مثل يمينـــــــه ما انشق حتى جاز فيه موسى

وكأن المعاني أعيته حتى التجأ إلى استفسار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة :

يا من نلوذ من الزمان بظلـــــه أبدا ، ونطرد باسمه إبليســـا

وقوله وقد جاوز حد الإساءة :

أي حـــــد أرتقـــــــــــي أي عظيـــم أتقـــــــــــي ؟
وكل ما قد خلـــــــــق الله ومـــــــا لـــــم يخلـــــــــق
محتقـــــر في همـــــــــــتي كشعـر ة في مفرقـــــــــــي

وقبيح من أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة[1]

كان المراكشي (ت 721 هـ) صاحب الروض المريع ، رافضا للغلو أيضا ، فعند حديثه عن أقسام الكلام جعل الشعر قسما مستقلا وعرّفه بقوله ، والرابع الشعر وهو الخطاب بأقوال كاذبة مخيلة على سبيل المحاكاة يحصل عنها استفزاز بالتوهمات[2] ، فالشعر – حسب رأيه – أقوال كاذبة جملة ، ويستفز بالتوهمات ، والقسم الذي الشعر عنده هو " الخامس المغالطة وهو الخطاب بأقوال كاذبة يحصل عنها ظهور ما ليس بحق أنه حق ، وهذان القسمان خارجان عن باب العلم و داخلان في باب الجهل " [3]

وأخيرا يختم كلامه عن الشعر بإخراجه من باب العلم ونسبته للجهل.

كما أخرج المراكشي التشيه المغالي من الحكمة ونسبه للشعر " لأنه – يقصد الشعر – مبني على المحاكاة والتخيل لا على الحقائق ولذلك اختصر الشعر بأنواع ليست من البديع بحسب الحكمة وهي من البديع بحسب اللسان ...ولكن ليس للشاعر أن يحاكي ويتخيل في الشيء ما ليس موجودا أصلا ، لأنه إذا فعل ذلك لم يكن محاكيا بل يكون مخترعا ، فتركب الكذب في قوله ، فتبطل المحاكاة لكذبها وهي موضوع الشعر " [4]

ثالثا : نقاد الاعتدال أو اللاموقف

تأرجح عدد من النقاد و البلاغيين بين قبول الغلو أو رفضه فلم يكن لهم موقف محدد أو أن مواقفهم اتسمت بالتناقض فأحيانا الغلو ، مقبول و أحيانا أخرى هو مرفوض دون مقياس محدد اعتمدوا عليه ، فكان من الأفضل وضعهم في خانة منفصلة فلا يمكن أن يحسبوا على أي فريق ، و يقف ابن طباطبا العلوي في صدارة هؤلاء.

فنظريا هو يرفض الغلو لكنه تطبيقيا ، أورد العديد من الشواهد عليه و أبدى إعجابه بالعديد منها ، و قد بدأ كتابه عيار الشعر ببيان عيار الشعر و وضع السنن التي يجب على الشاعر اتباعها ، و المزالق التي يجب عليه اجتنابها قائلا : " ... و اجتناب ما يشينه من سفاسف الكلام و سخيف اللفظ ، و المعاني المستبردة و التشبيهات الكاذبة و الإشارات المجهولة ، و الأوصاف البعيدة و العبارات الغثة حتى لا يكون ملفقا مرفوعا " [5]

---

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر ج 1 ص 168 – 170 .

[2] المراكشي، ابن البناء المراكشي العددي : الروض المريع في صناعة البديع ، تحقيق رضوان بن شقرون ، دار النشر المغربية – الدار البيضاء 1985 ص 89 .

[3] نفسه: ص 89 – 90 .

[4] المراكشي:الروض المريع ص 103 – 104 .

[5] ابن طباطبا : عيار الشعر ص 6 –7 .

و ثلاث من الأمور المنهي عنها يمكن أن يجسدها الغلو ، فالتشبيه الكاذب قد يكون غلوا ، و كذلك الأمر بالنسبة للإشارة المجهولة و خصوصا الأوصاف البعيدة ، و يؤكد ابن طباطبا نفس الفكرة مرة أخرى و بنفس العبارة تقريبا[1] في موضع آخر من كتابه.

و يضع ابن طباطبا دستورا لمعرفة الشعر الجيد : و عيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فيما قبله و اصطفاه فهو واف ، و ما مجه و نفاه فهو ناقص و العلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه و نفيه للقبيح منه ، و اهتزازه لما يقبله و تكرهه لما ينفيه ، أن كل حاسة من حواس البدن إنما تقبل ما يتصل مما طبعت له ، إذا كان وروده عليها ورود الطيف باعتدال لا جور فيه و بمرافقة لا مضاد معها " [2]

و الفهم الثاقب الذي أوكل إليه ابن طباطبا الإحساس بالشعر الجيد " يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، و الجائز المعروف المألوف ، و يتشوف إليه و يتجلى له ، و يستوحش من الكلام الجائر الخطأ الباطل ، و المحال المجهول المنكر ، و ينفر منه ، و يصدأ له " [3]

و هذه الصفات كلها تقع على طرفي النقيـــــض من الغلو ، فهو مناف للعـــــدل الصواب الحق خصـوصا في المدح و الهجاء ، و هو أيضا الخروج عن المألوف ، و أحيانا كثيرة يكون باطلا ليصل حد المحال.

و يلخص ابن طباطبا عيار الشعر في الاعتدال ، فهو علة كل حسن مقبول[4] ، و الغلو لما سبق تعريفه هو تجاوز الحد.

و كل هذا الإلحاح من ابن طباطبا يؤكد موقفه الرافض للغلو و يلخص د. إحسان عباس موقفه فيقول : " فإذا خرج الشاعر عن الصدق انتقل إلى الغلو و الإفراط ، و ذلك عيب ، ومتى تضمن الشعر صفات صادقة و تشبيهات موافقة و أمثالا مطابقة نصب حقائقها ارتاحت إليه النفس و قبله الفهم " [5].

لكن ابن طباطبا عند التطبيق ينسى عياره و يعجب بأشعار فيها غلو ، فيقول عن شعر الفرزدق : " فانظروا إلى لطفه في قوله :

و قد خفت حتى لو أرى الموت مقبلا ليأخـــــذني و الموت يكره زائـــــــــره

لكان من الحجاج أهـــــــون روعـــة إذا هو أغفى و هو ســـــــام نواظـــــــره

ليكون أشد مبالغة في الوصف عند إغفائه بالموت ، فما ظنك به ناظرا متأملا متيقظا ثم نزهه عن الإغفاء[6].

و هذا الوصف فيه إسراف و لا مكان فيه للعدل الصواب و الحق و مع ذلك أشاد به.

---

[1] نفسه:ص 199 – 200 .

[2] نفسه: ص 19 – 20 .

[3] ابن طباطبا :عيار الشعرص 20 .

[4] نفسه: ص 21 .

[5] عباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، دار الثقافة – بيروت ط 5 – 1406 هـ / 1986 م ص 132 .

[6] ابن طباطبا : عيار الشعر ص 80 .

و ختم ابن طباطبا اختياره بشاهد أجمع العديد من النقاد على إنكاره و عدوه محالا و كفرا و لكن ابن طباطبا أورده دون أن يرفضه و اكتفى بوصفه بالإغراق " و قد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها فقال أبو نواس :

و أخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق[1]

لم يكن للقاضي الجرجاني موقف واضح من الغلو ، فهو أحيانا ضده و أحيانا أخرى يدافع عنه ، كمل اختلف النقاد كذلك في تصنيفه.

و إن كان لم يخرج عن المبدأ الذي انتهجه في كتابه مبدأ المقاسية لغرض الوساطة بين المتنبي و خصومه بل انصافه من خصومه ، إذ أن دفاعه عن الشعر المحدث و الشعراء المحدثين إنما هو تمهيد لإنصاف أبي الطيب[2].

اتخذ الجرجاني في بداية وساطته موقفا وسطا و وضح كيف أفرط المحدثون في البديع قائلا : " و كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة و الحسن بشرف المعنى و صحته و جزالة اللفظ و استقامته و تسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، و شبه فقارب و بده فأغزر و لمن كثرت سوائر أمثاله و شوارد أبياته ، و لم تكن تعبأ بالتجنيس و المطابقة و لا تحفل بالإبداع و الاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر و نظام القريض و قد يقع ذلك في خلال قصائدها ، و يتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد و قصد ، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ، و رأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة و الحس ، و تميزها عن أخواتها في الرشاقة و اللطف ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع ، فمن محسن و مسيء و محمود و مذموم و مقتصد و مفرط[3].

فهذا الشعر قد يكون محمودا أو مذموما جيدا أو رديئا و لا يمكن إصدار حكم عام بالإساءة لكن الشعر الجيد قديما كانت له مقاييس مختلفة تتمثل في الصفات السابقة و هي :

- شرف المعنى و صحته
- جزالة اللفظ و استقامته
- إصابة الوصف
- المقاربة في التشبيه
- الغزارة في البديهة
- كثرة الأمثال و الأبيات الشاردة

و من البديهي أن الأبيات المفرطة تخرج عن هذه المقاييس و يجد الجرجاني مخرجا للمتنبي في إفراطه ، فهو يعتبره ملتزما بالشروط الستة ، يفصله إحسان عباس قوله " غير أنك تلمح من طرف خفي أن الشروط الستة التي وضعها تنطبق على المتنبي تماما فإذا طالعته بمعنى مستكره أو وصف غير مصيب أو استعارة مفرطة ، دعاك إلى أن لا تحكم ببيت على الأبيات " [4]

لكن الجرجاني في موضع آخر من كتابه يرى أن الإفراط صفة مشتركة بين القدامى و المحدثين و يضرب الأمثلة لذلك " فكيف لمتم على أبي الطيب لإفراطه في قوله :

---

[1] ابن طباطبا: عيار الشعرص 81 .

[2] عباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، دار الشروق ط 2 المنقحة 1997 ص 325 .

[3] الجرجاني القاضي : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 33 – 34 .

[4] عباس إحسان : تاريخ النقد ، طبعة دار الشروق ص 315 .

ذراعاها عـــــدوا دملجيها يظن ضجيعها الزند الضجيجا

إذا ساغ للمتقدم أن يقول :

فلما حثتـــــــــه أعلى مصلى و أجلسني على السبع الشداد

فأما ما جرى مجرى قول أبي نواس :

و أخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلـــــــق

فهو من المحال الفاسد ، و له باب غير هذا و كل هذا عند أهل العلم معيب مردود ، و منفي مرذول ، و إن كان أهل الإعراب و أصحاب البديع من المحدثين قد لهجو به و استحسنوه ، و تنافسوا فيه ، و بارى بعضهم بعضا فيه.و لسنا نذهب بما نذكره في هذا الباب مذهب الاحتجاج و التحسين ، و لا نقصد به قصد العذر و التسويغ، و إنما نقول : إنه عيب مشترك ، و ذنب مقتسم ، فإن احتمل فللكل ، و إن رد فعلى الجميع ، و إنما حظ أبي الطيب فيه حظ واحد من عرض الشعراء ، و موقعه منه موقع رجل من المحدثين " [1]

فالغلو عيب مشترك ، فإذا احتمل فللكل و إن رد فعلى الجميع لكنه هو لا يحتمل غلو أبي نواس فكيف يقبل أن يصل الشاعر المتقدم إلى السماء السابقة و يرفض أن تخاف النطف التي لم تخلق عند أبي نواس ؟

لم تكن الرخصة التي منحها الجرجاني للمتأخرين كاملة ، فهو في آخر فصـــــل غلو القدامى يذم إفراطهم قائلا : " و أمثال هذا مما لو قصدنا جمعه لم يعوز الاستكثار منه وجد من بعدهم سبيلا مسلوكا و طريقا موطئا ، فقصدوا و جاروا ، واقتصروا و أسرفوا و طلب المتأخر الزيادة ، و اشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول ، و لم يقف عند حد المتقدم ، فاجتنبه الإفراط إلى النقص ، و عدل به الإسراف نحو الذم " [2]

و التسامح عند الجرجاني يمكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة على اللغة و الشعر " و متى اتبع فيها الرخص ، و أجريت على المسامحة أدت على فساد اللغة ، و اختلاط الكلام و إنما القصد فيها التوسط و الاجتزاء مما قرب و عرف و الاقتصار على ما ظهر و وضح " [3]

و من كل ما مضى يمكن تلخيص موقف الجرجاني :

- إذا عاب النقاد على المتنبي إفراطه فهو مذهب عام في المحدثين.
- لم يكن الإفراط سببا في تقديم العرب للشاعر.
- لم يمكن الحكم على المتنبي من خلال أبياته التي أفرط فيها.
- الإفراط صفة مشتركة بين القدامى و المحدثين ، فيقبل من الكل أو يرد على الجميع.
- الرخصة الممنوحة للمحدثين محدودة.

و لتمييز الغلو المقبول يحكم الجرجاني الذوق فما قبله القلب و النفس فهو جيد و ما انصرف عنه فهو رديء[4].

اختلف الدارسون في تحديد موقف الجرجاني فمحمود السمرة يعتبره رافضا للغلو : " فهو عنده عيب مشترك بين الشعراء جميعا و هو يؤثر التوسط و الاجتزاء بما قرب و عرف ، و الاقتصار على ما ظهر و وضح ، و يبدو لنا هذا الموقف سليما " [1]

---

[1] الجرجاني القاضي : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 427 .

[2] نفسه:ص 423 .

[3] نفسه: ص 433 .

[4] نفسه: ص 429 .

و يكتفي منير سلطان بالإشارة إلى تحكيمه للذوق و مطالبته المحدثين بالاعتدال[2].
و يؤكد أحمد عبد السيد الصاوي قبوله للغلو : " و معنى ذلك أن الجرجاني يرتضي المبالغة و الغلو " [3]

و حاول مصطفى الجوزو أن يتفهم موقفه أكثر " و بكلمة ، أن الجرجاني كقاضي يميل إلى التوسط و العدل ، و كناقد تقليدي يعظم عمل القدماء و يجعله مثالا ، و لذلك يقبل الإفراط الذي أكثروا من استعماله و يسامحهم على إغراقهم الفاحش ، لكنه لا يقبل المحال الفاسد الذي هو من عمل المحدثين مثل أبي نواس ، فهو قاض على المحدثين مقدس للأولين لا يجيز لنفسه الحكم عليه ، و هذا الموقف ليس نقديا فنيا بل هو موقف نقدي دفاعي " [4]

طور أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (ت 421 هـ) عمود الشعر ، و زاد في عناصره التي صنفها الجرجاني سابقا و " زاد من اتساع هذه النظرية حين جعلها ذات وسط و طرفين ، فإما أن يعمد الشاعر إلى تحقيق هذه العناصر عن طريق الصدق ، و إما أن يذهب مذهب الغلو ، و إما أن يكون مقتصدا بين بين ، و لكل جانب أنصاره الذين يؤثرونه " [5]

الطرف الأول يقول : " أحسن الشعر أصدقه " ، و الطرف الثاني يقول : " أحسن الشعر أكذبه " ، و أضاف المرزوقي مقولة جديدة : " أحسن الشعر أقصده " و شرح باختصار وجهة نظر كل فريق : " من قال أعذب الشعر أصدقه ، إنما قال ذلك لأن تجويد قائله مع كونه في إسار الصدق يدل على الاقتدار و الحذق ، و الذين اختاروا مذهب الغلو حتى قيل " أعذب الشعر أكذبه " ، لأن قائله إذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف و الموصوف امتد فيما يأتيه إلى أعلى رتبة و أظهر قولة في الصياغة و تمهره في الصناعة ، و اتسقت مخارجه و موالجه فتصرف في الوصف كيف شاء ، لأن العمل عنده على المبالغة و التمثيل لا على المصادقة و التحقيق و على هذا أكثر العلماء بالشعر و القائلين له ، و بعضهم قال : " أحسن الشعر أقصده " ، لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعرا فقط ، فيما استوفى أقسام البراعة و التجويد أو جلها ، من غير غلو في القول و لا إحالة في المعنى ، و لام يخرج الموصوف إلى أن يؤمن لشيء من أوصافه لظهور السرف في آياته و شمول التزيد لأقواله كان بالإيثار و الانتخاب أولى " [6]

فلكل فريق حججه و لكل طريق مزاياه ، فالإجادة رغم الالتزام بالصدق دليل على القدرة و المهارة و بالمقابل من تنازل عن الصدق و كان هدفه المبالغة وجد المجال واسعا أمامه و هذا سبيل أكثر العلماء و الشعراء و بين الطرفين يظهر فريق ثالث منهجه " أحسن

---

[1] سمرة محمود : القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، لبنان 1979 ط 2 ص 175 .

[2] سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ص 132 .

[3] الصاوي أحمد عبد السيد : مفهوم الإستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ، دراسة تاريخية فنية ، منشأة المعارف الإسكندرية 1988 ص 55 .

[4] الجوزو مصطفى : نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية) دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت ط 1 صفر 1402 هـ / كانون الأول 1981 م ص 163 .

[5] عباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي ، طبعة دار الشروق ص 416 .

[6] المرزوقي أبو علي : شرح ديوان الحماسة ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون – القاهرة 1951 ج 1 ص 11 – 12 .

الشعر أقصده " لأن للمبالغة حدودا ، فهي مقبولة في حدود الشعر ليزيد جودة و براعة دون الوصول إلى درجة الغلو و الإحالة.

لم يتخذ ابن رشيق القيرواني موقفا محددا فهو ضد المبالغة أحيانا ، و مناصر لها أحيانا أخرى ، فهو يعتبر أن خير الأمور أواسطها " . إلا أنه لا يجب للشعر أن يبعد الاستعارة جدا حتى ينافر و لا أن يقربها كثيرا حتى يحقق و لكن خير الأمور أواسطها.

قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز و استعار حتى حقق :

و قد لبست لبس الهلوك ثيابها و أبدت لك الدنيا بكف و معصم
و ترمق أحيانا بعين مريضـــــــة و تبسم عن مثل الجمان المنظـــــم

و حسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض و شبه بالجمان و هذا إفراط غير جيد ههنا "[1]

و لا تقف معارضة ابن رشيق للغلو عند هذا الحد ، فهو ينص عليها في مواضع عدة من العمدة ففي بداية باب الغلو يقول : " و من أسمائه أيضا الإغراق و الإفراط و من الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق و الغلو و لا أرى ذلك إلا محالا لمخالفته الحقيقة و خروجه عن الواجب و المتعارف و قد قال الحذاق خير الكلام الحقائق فإن لم تكن فما قاربها و ناسبها "[2]. و أكثر من ذلك يستشهد بآية قرآنية " و أصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل و ثبت فيه الشاهد من كلام الله تعالى و نحن نجده عند قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق فقال جل من قائل " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق "[3، 4]. ثم يناقض ابن رشيق نفسه حين يعترف بوجود الغلو في القرآن الكريم " و الغلو عند قدامة تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه و ليس خارجا عن طباعه كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه :

تظل تحفر عنـــــــه إن ضربت به بعد الذراعين و الساقين و الهادي

إذ ليس خارج عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بعد ذلك في الأرض ، و لأن مخارج الغلو عنده على (تكاد) و على هذا تأويل أصحاب التفسير قوله تعالى " و بلغت القلوب الحناجر " أي كادت[5].

و ينتقل ابن رشيق من النقيض إلى النقيض حيث يمدح المبالغة و يعدها أساسية في الكلام " فمن أحسن و أغر بها عند الحذاق التقصي و هو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء كقول عمر بن الأيهم التغلبي :

و نكرم جارنا ما دام فينـــــــا و نتبعه الكرامة حيث كانـــــــا

فتقصى بما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه و وصف به قومه ، فأما الغلو فهو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها و يقع فيه الاختلاف لا ما سواه من ماء بنيت و لو

---

[1] القيرواني ابن رشيق : العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق وشرح مفيد قميصة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط 1 – 1403 هـ / 1983 م ص 188 .

[2] نفسه:ص 287 .

[3] سورة المائدة آية 77

[4] ابن رشيق القيرواني : العمدة ص 287 – 288 .

[5] ابن رشيق القيرواني : العمدة ص 288 .

بطلت المبالغة كلها و عيبت لبطل التشبيه و عيبت الاستعارة إلى كثير من محاسن الكلام ... " [1] ، و يسرد بعد هذا قائمة من الشواهد الأدبية التي تدل على جمال المبالغة :

وحمد ابن سنان الخفاجي المبالغة و الغلو " لأن الشعر مبني على الجواز و التسمح[2] و يعلن مخالفته للمذهب الرافض لهما و الذي يذم بيت أبي نواس :

و أخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق[3]

ثم يناقض نفسه حين يرى استعمال كاد " ليكون الكلام أقرب إلى حيز الصحة " [4] ، و بكلامه هذا يلغي الجانب الفني في العمل الشعري فيغلب المعايير العقلية على المعايير الفنية الخاصة.

كان عبد القاهر الجرجاني مترددا بين العقل و التخييل دون موقف واضح و محدد ، فأفكاره تتداعى عند الحديث عن فضائل التخييل في الشعر حتى يظن القارئ أنه من أنصاره لكنه يعود فينقض كل كلامه ليؤيد الحقيقة " فالجرجاني يتنازعه هنا جانبان فالأول فني جمالي يجعله يقدم آراء أنصار الكذب في الشعر ببراعة و تشويق و تحبيب حتى يوهمنا أنه منهم ، و الثاني ديني عقلي يجعله يقدم رأي القائلين بالصدق مختضرا و يلتزمه بسبب عقدي " [5]

الجرجاني يقر بداية أن الشعر لا يخضع لسلطان العقل " و لا يؤخذ الشاعر بأن يصحح كون ما جعله أصلا و علة كما ادعاه فيما يبرم أو ينقض من قضية ، و أن يأتي على ما صيره قاعدة و أساسا ببينة تعلية ، بل تسلم مقدمته التي اعتمدها بلا بينة " [6] ، فليس من واجب الشاعر رصد الحقائق و إيصالها و لا هو مطالب بالبرهان على صحة ما يقول. يؤكد الجرجاني نفس الفكرة عدة مرات في كتابه ، فعند كلامه عن جعل الفرع في الصفة أصلا له للمبالغة يقول : " و المعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها ضرب من السرور خـــاص و حدث بها من الفرح نصيب و كانت كالنعمة لم تكدرها المنة و الصيغة لم ينقصها اعتداء المصطنع بها " [7]

و الاستعارة عند الجرجاني أساسها المبالغة ، و يلخص الدكتور شوقي ضيف حديثه فيها بقوله : " فالمدار على المبالغة في وصف الاستعارة بأنها مفيدة فإذا سقطت المبالغة سقطت الفائدة " [8]

اتبع الجرجاني طريقة جدلية ليبين محاسن و مساوئ كل منهج ، فمن فضل المبالغة كانت حججه الآتية : " إن الصنعة إنما تمد باعها و تنشر شعاعها و يتسع ميدانها ، و تتفرع أفنانها ، و حيث يقصـــد التلطف و التأويل ، و يذهب بالقول مذهب المبالغة و الإغراق في المدح و الذم و الوصف و النعت و الفخر و المباهاة و سائر المقاصد و الأغراض ، و هناك يجد الشاعر سبيلا إلى أن يبدع و يزيد و يبـــدي في اختراع الصور و يعيد ، و يصادف

---

[1] المرجع السابق ص 282 – 283 .
[2] الخفاجي ابن سنان : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط 1 – 1402 هـ /1982 م ص 272 .
[3] نفسه: ص 271 – 272 .
[4] نفسه: ص 272 .
[5] الجوزو مصطفى : نظريات الشعر عند العرب ص 172 .
[6] الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 248 .
[7] المرجع السابق ص 206 .
[8] ضيف شوقي : البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف – مصر ط 2 ص 194 .

مضطربا كيف شاء واسعا ، و مددا من المعاني متتابعا و يكون كالمغترف من عد لا ينقطع و المستخرج من معدن لا ينتهي " [1]
و ينتقل بعد هذا السرد الطويل بفضل المبالغة لذم الاقتصار على الحقائق و التقيد بقوانين العقل فيقول : " فهو فيه كالمقصور المداني قيده و الذي لا تتسع كيف شاء يده و أيده ، ثم هو الأكثر سردا على السامعين معاني معروفة و صورا مشهورة ، و يتصف في الأصول هي و إن كانت شريفة فإنها كالجواهر تحفظ أعدادها و لا يرجى ازديادها ، و كالأعيان الجامدة التي لا تنمو و لا تزيد و لا تريح و لا تفيد كالحسناء العقيم و الشجرة الرائقة لا تمتع بجنى كريم " [2]

و من خلال هذا يبدو الجرجاني مدافعا مستميتا عن التخييل و الإغراق ، لكنه بعدها ينقلب كليا ، ليفضل نقيض كل ذلك ، و ينسلخ عن آرائه السابقة ليقول : " و ما كان العقل ناصره ، و التحقيق شاهده ، فهو العزيز جانبه ، المنيع مناكبه ، و قد قيل الباطل مخصوم و إن قضي له ، و الحق مفلح و إن قضي عليه ، هذا و من سلم أن المعاني المغرقة في الصدق ، المستخرجة من معدن الحق في حكم الجامد الذي لا ينتمي و المحصور الذي لا يزيد " [3]

و يضرب مثلا لذلك بقول أبي فراس الحمداني :

و كنا كالسهام إذا أصابت مراميـــــها فراميـــــها أصابا

" ألست تراه تعليا في نسبه معترفا بقوة سببه ، و هو على ذلك من فوائد أبي فراس التي هو عذارها ، و السابق إلى إثارة سترها " [4]

و يعود لينفي ما أثبته سابقا من أن الإغراق يوسع مجال الشعر و يفتح أبوابا جديدة بل يثبت عكس ذلك تماما ليقول : " ليس الأمر على ما ظنه ناصر الإغراق و التخييل الخارج إلى أن يكون الخبر على خلاف المخبر من أنه إنما يتسع القال و يفتن و تكثر موارد الصنعة و يغزر ينبوعها ، و تكثر أغصانها و تتشعب فروعها ، إذا بسط من عنان الدعوى فادعى ما لا يصح دعواه ، و أثبت ما ينفيه العقل و يأباه " [5]

كان موقف يحي بن حمزة العلوي أكثر وضوحا فقد بدأه بعرض كل وجهات النظر و حججها بداية بالمذهب الرافض لها إطلاقا ثم المذهب الذي يراها بيت القصيد ، و أخيرا المذهب الوسط و الاعتدال فلا يرفضها رفضا تاما و لا يقبلها على علاتها ، ثم يبين وجهة نظره الخاصة فمن عاب المبالغة فقد أخطأ فهي في أعلى مراتب البيان لورودها في الذكر الحكيم ، و كذلك من قبلها على الإطلاق ، فقد أخطأ أيضا لأنها أحيانا تخرج عن الحد لتصف ما لا وجود له و ما لا يمكن تصوره " [6] لكن خير الأمور أوساطها ، فما كان من

---

[1] الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 250 – 251 .
[2] نفسه: ص 251 .
[3] الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 251 .
[4] نفسه:ص 251 .
[5] نفسه: ص 252 .
[6] العلوي يحي بن حمزة : كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجازج 3 ص 117 – 119 .

الكلام جاريا على حد الاستقامة من غير إفراط و لا تفريط فهو الحسن لا مراء فيه فيكون فيه نوع من المبالغة من غير خروج و لا تجاوز حد " [1]

و يعجب بعد ذلك بأبيات حسان بن ثابت في مدح الصدق حين يقول :

و إنما الشعـــــــــر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيسا و إن حمقا
فإن أشعـــــــــــر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشـــــــدته صدقا

و يذم بيته الذي غابت منه المبالغة :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى و أسيافنا يقطرن من نجدة دما[2]

هو بذلك يكون قد تعرض لوجهتي النظر ليتمكن القارئ من الحكم الصواب " فعرفت بما ذكرناه أن الكلام متى عري من استعمال المبالغة كان مذموما ، نازل القدر ، فينحل من مجموع ما ذكرنا مما هنا معرفة ما يقبل في المبالغة و ما يرد ، و ما يكون محمودا أو مذموما بما قررناه و الله أعلم بالصواب " [3]

كان ابن حجة الحموي (ت 838 هـ) أكثر تنظيما و وضوحا فبعد تعريف موجز للغلو يقر أنه نوعان مقبول و غير مقبول ، و لكي يدخل الغلو في دائرة القبول لا بد من تقفي أداة التقريب ، و هو الشرط الذي يضعه ابن حجة للتفريق بين النوعين ، إلا أن يكون في مدح النبي صلى الله عليه و سلم[4].

كما أن التخييل الحسن يجري مجرى ثاد ، فإن أورد في الغلو كان مقبولا.

و يتبع ابن حجة النظرية بالتطبيق فيضرب عدة أمثلة للغلو المقبول كقول أبي العلاء المعري :

تكاد قسيـــــة من غير رام تمكن في قلوبهـــــــــــم النبالا
تكاد سيوفهم من غير سل تجد إلى رقابهم إنســـــــــلالا [5]

كما أن مراتب الغلو غير المقبول تتفاوت إلى أن تصل حد الكفر[6].

فقول أبي نواس :

فلما شـــــربناها و دب دبيبـــــــها إلى موضع الأسرار قلت لها قفي
مخافة أن يســـــطو على شعاعهـــا فيطلع ندمائي على ســري الحفي

غير مقبول لأنهم " قالوا : إن سطوة شعاع الخمر عليه ، بحيث يصير جسمه شفافا يظهر لنديمه ما في باطنه لا يمكن عقلا و لا عادة[7].

أما قول ابن دريد :

مارست من لو هوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شـــــــــــكا

فهو كفر ، فقد " قيل أنه لأجل هذا البيت ، و الادعاء العظيم الذي ادعى فيه أبتلي بمرض كان فيه يخاف من الذباب أن يقع عليه " [1]

---

[1] نفسه :ج 3 ص 119 – 120 .
[2] العلوي يحي بن حمزة : الطراز ج3 ص 120 – 121 .
[3] نفسهج3 ص 121 .
[4] الحموي ابن حجة : خزانة الأدب وغاية الأرب ، شرح عصام شعيتو ، دار مكتبة الهلال – بيروت ط 1 – 1987 ج 2 ص 16 .
[5] نفسه :ج 2 ص 16 .
[6] نفسه: ج 2 ص 18 .
[7] الحموي ابن حجة : خزانة الأدب ج 2 ص 18 .

و كان الخطيب القزويني قد ذكر هذه التفصيلات قبل ابن حجة ، و زاد في أسباب قبول الغلو ما أخرج فخرج الهزل و الخلاعة كقول أحدهم :

أسكر بالأمس إن عزمت على الشر ب غـــــــــــــــدا إن ذا مـــــــن العجب [2]

و يتكرر نفس الموقف و نفس الشواهد عند الشراح بعده[3].

---

[1] نفسه :ج 2 ص 18 .

[2] القزويني الخطيب : التلخيص في علوم البلاغة ص 374 .

[3] القزويني الخطيب : كتاب الإيضاح ج 4 ص 361 – 369 .

التافتازاني سعد الدين: مختصر العلامة سعد الدين التافتازاني الأعلى تلخيص المفتاح للقزويني ج 4 ص 361 – 369 .

المغربي ابن يعقوب : مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ج 4 ص 361 – 369

السبكي بهاء الدين :عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ج 4 ص 361 – 369

الدسوقي: حاشية الدسوقي على شرح السعد ج 4 ص 361 – 369 .

ضمن شروح التلخيص : طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر.

الفصل الثاني

الدراسة البلاغية

1 . أسباب الغلو

2. الغلو عند أرسطو

3. جماليات الغلو

لا تولد الظواهر الأدبية فجأة بل تظهر تدريجيا إلى أن تعم ،و الغلو لا يشذ عن هذه القاعدة،فهو إن وجد بصورة متفرقة في العصر الجاهلي فقد أخذ بالتنامي و البروز إلى أن أصبح ظاهرة أدبية في العصر العباسي.

وبعد التعريف و بيان مواقف النقاد منه،لابد من البحث في أسباب الانتشار و هي أول نقطة في الفصل القادم.

أولا : أسباب الغلـو

كان العصر الجاهلي عصر البساطة والوضوح في كل شيء وهذا ما انعكس على الشعر فكان واضحا خاليا من التعقيد لأنه ببساطة كان مرآة عاكسة لحياة قائليه يرسم خطوطها بصدق " وقد فطرهم على ذلك صرامتهم مع أنفسهم تلك الصرامة التي لا بد أن تكون قد تسللت إلى نفوسهم من حياة البادية ، فالبادية واضحة مكشوفة لا أدغال فيها ولا أحراش ، بل ولا بحار تطوي بين أمواجها أسرار من طوتهم من راكبي ظهورها ، والسماء بعد ذلك صحو ، والشمس نهارا ، والقمم ليلا ، لا تكاد تترك بالبادية حجرا بل لا حبة رمل حتى تجعلها تتوقد نارا ونورا وأخيرا يأتي دور الخيمة – التي يولد فيها العربي ويموت – فهي تلقنه دروسا لا تنتهي في الوضوح والصرامة وذلك بفضل حوائطها الرقيقة التي لا تكاد تخفي شيئا عن أعين الناس ...

وتبدو أثار تلك النزعة عند العرب في البعد عن المبالغة والإغراق وتوفي القصد في المدح والقصص ، اقرأ ما شئت من الشعر فسترى دقة شديدة والتزاما ما للحقائق " [1].

لكن الحال لم يدم ، وشهد الشعر العربي تحوّلا كبيرا في العصر العباسي ، وأصبحت المبالغة طابعا مميزا له ، فلم يعبّر عن الحياة ، ولم يعد يعكس البساطة والوضوح ، ولم يعد يلتزم الحقيقة.

ولا بد لهذا التغيير من أسباب فلا يمكن أن يقرر الشعراء فجأة انتهاج المبالغة لأن التّحول الأدبي لا بد له من ممهدات ولا بد أن يتوفر له الزمن الكافي ولا يمكن أن يُخلق من العدم.

فالغلو قد وُجد في العصر الجاهلي وإن كان نادرا ، وكمثال عليه بين النابغة السابق :

تقد السلوقي المضاعف نسجــه وتوقــد بالصفاح نـــار الحباحـــــب [2]

وكقوله أيضا :

إذا ارتعثت خاف الجبان ارتعاثها ومن يتعـــــــلق حيث علّق يفـــرق [3]

والنابغة معروف بتفضيله للمبالغة عند نقده لحسان بن ثابت في البيت الذي يقول فيه :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجـــــــدة دما [4]

فالنابغة لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو [5].

كما وجدت أبيات متفرقة عند باقي الشعراء يمكن أن تحصى ولا يمكن أن تشـــكل اتجاها أو ظاهرة كقول الأعشى :

وإذا تجيء كثيبة ملمـــــــــــومة خرساء تغشي من يذود نهالـــها

تأوي طوائفها إلى مخضـــــــــرة مكروهة يخشى الكماة نزالـهـــــا

---

[1] الكفراوي محمد عبد العزيز : في الشعر العربي بين الجمود والتطور، دار النهضة – مصر للطبع والنشر ، الفجالة القاهرة ط 4 ص 19 .

[2] ديوان النابغة،الديوان ص34

[3] نفسه ص83

[4] ابن ثابت حسان، الديوان ص206

[5] ابن جعفر،قدامة:نقد الشعر ص61

كنت المقـــــدم غير لابس جنة بالسيـــف تضرب معلما أبطاهــا [1]

ولم يختلف الشعر الإسلامي بعد ذلك عن الجاهلي كثيرا في هذا الأمر ، فالأصل التزام الحقيقة والغلو يرد قليلا كقول عمرو بن الأيهم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دام فينـــــــــــا ونتبعه الكرامـــــة حيث مـــــــالا

لكن ذا الرمة يؤكد خلو شعره من المحال حين يقول :

و شعر قد أرقت له طـــــــريــق أجنّبـــــــــه المسانـــــد و المـحالا [2].

فيضم المحال إلى المساند وهي عيوب القافية في الشعر.

يتغير الأمر كليا في العصر العباسي ، ويكثر الغلو في الشعر ولم يعد مجرد أبيات ترد عفوا ، ويمكن تلخيص أسباب ذلك " بأن العصر العباسي اجتمع له تراث الجاهلية والإسلام وورث ثقافات مختلفة – كما سيتضح لنا – وقد تفاعلت هذه الثقافات وأثمرت لدى شعرائه ومن ناحية أخرى كان العصر العباسي عصر المبالغة في كل شيء والشعر نوع من النشاط الإنساني ، يطرأ عليه ما يطرأ على أنواع النشاط الأخرى " [3].

يمكن حصر أسباب الغلو إذن في محورين أساسيين :

- أسباب حضارية.
- أسباب نقدية.

أ : الأسباب الحضارية

وتشمل كل ما طرأ على الحياة العباسية من تغيير سواء أكان في نظام الحكم ، أم في مظاهر الحياة الاجتماعية أو العائدات اليومية مما أثر على الشعر ، وكان سببا في بروز الغلو ، فالعلاقة وطيدة بين الحياة الاجتماعية والشعر وعلى " رأي هربرت ريد أن هذه الصلة ليست مقصودة ولا متكلفة ، ولكنها تلقائية ، فالفن مظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي المتعددة ، فإذا جرى على تلك المظاهر تغيير أو تبديل تبعا لضرورة ملحة ، فمثل هذا التغيير يجري على الفن أيضا ما دامت كل المظاهر قائمة على أساس دين هي واحدة ومن ثم كان تغيير المجتمعات تغيرا متكاملا دائما " [4].

والمجتمع العربي قد تغير كليا في العصر العباسي ففقد بداوته وجمع أسباب الحضارة المترفة واختلط بالأمم التي سبقته إليها فأخذ ما عندها وأضاف إليها اجتهاده فهو عصر مختلف تماما ، لم يعد فيه مكان للوقوف على الأطلال وتعداد الأثافي والنؤي ، ولا مكان فيه للتشبيه بالسيف والأسد وصور الشاعر الجاهلي المستمدة من الصحراء ، لم تعد الحياة بتلك العفوية والبساطة ، واختفت الخيمة لتحل محلها القصور الفخمة والرّياض الخضراء الواسعة وظهرت أبهة الملك وفخامة الدولة والجيش ومظاهر الولاء والطاعة للخليفة والأمير والوزير ، وولد هذا التغيير الجذري " حياة جديدة مختلفة كل الاختلاف عن

---

[1] الأعشى ،ميمون بن قيس :الديوان ،شرح محمد محمود ،دار الفكر اللبناني بيروتط1996/1

[2] ذو الرمة،غيلان بن عقبة :الديوان دار صادر بيروت دون تاريخ ص 162

[3] الفيل توفيق ، القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز ، مطبوعات جامعة الكويت ص 1423 .

[4] سويف مصطفى : الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف مصر ص 5.

حياة البادية ، بحيث صار الشعر الجاهلي الساذج المتواضع يبدو أمامها وكأنه عباءة البدوي التي تحيفها الزمن على كتفي أحد المارة في بعض شوارع لندن ، أو باريس " [1].

ولم يتأخر الشعر عن مواكبة هذه التغييرات ، واختفت العديد من المثل الجاهلية واستبدلت بأخرى تحمل روح العصر الجديد ، وإذا حاول أحد الشعراء العودة إلى القديم لم يقبل ذلك منه ، فأبو تمام عندما وقف يمدح أحمد بن المعتصم قال :

أبليت هذا المجد أبعـــد غاية فيه وألم شيمـــــــــــة ونحاس
إقدام عمرو في سماحة حاتـم في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال ذلك ، وظن أنه قال شيئا ، ولكن أبا يعقوب الكندي الذي درس كتب أرسطو وأفلاطون ، وسرعان ما لاحظ البون الشاسع بين قول أبي تمام ومقتضيات العصر ، فقال معترضا : " وهل زدت على أن شبهت الأمير بأجلاف العرب " [2].

فبعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأمم ، تغيرت مثلهم العليا ولم يعـــد التشبه " بأجلاف العرب " يرضيهم ، لأنهم عرفوا مثلا عليا أخرى ظنوها الأفضل .

وكان لا بد على الشاعر أن يراعي هذا التغيير ، ويعمل على إرضاء ممدوحه فما كان يرضي عبد الملك بن مروان لم يعد يرضي الأمين ، أو المتوكل ، فما يروى عن المستعين بالله أنه قال للشعراء : " لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحتري في المتوكل :

ولو أن مشتاقا تكلف فوق مـــا في وسعه لسعى إليك المنبـــــر

فقال له أحمد البلاذري المؤرخ : " قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري :

ولو أن برد المصطفى إذ لبستـه يظن لظن البُرْد أنك صـــــــاحبه
وقال وقد أعطيـــــــته ولبسته نعم هذه أعطافـــــــــــه ومناكبه

فكان رد المستعين بالله على قدر هذا الغلو فقال له : ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به فبعث إليه بسبعة آلاف دينار ، وقال : " ادّخر هذه للحوادث بعدي ولك عليّ الحماية والكفاية ما دمت حيا " [3].

الخليفة في هذا العصر لم يعد مجرد الحاكم الذي يتولى مسؤولية الرعية بل وصل به الأمر أحيانا إلى التشبه بالخالق ، وكان لا بد على الشعراء أن يراعوا هذا الجانب للفوز برضاه والبعد عن غضبه ، فلا بد من " فهم الفنان غير منفصل عن متلقي فنه ، فالفنان يؤدي وظيفة اجتماعية لذاته بأن يبدع عملا فنيا لا يتم مطلقا إلا إذا كان هناك من يتلقى هذا العمل " [4].

ولم يكن الشعراء وحدهم الذين قدّسوا الحكام بل القضاة ، الوزراء ، العمال والرعية ككل ، فلم يراع لا الدين ولا الأخلاق ، المهم رضا السيد الحاكم وقد حفظ التاريخ العديد من الصور التي تنقل المكانة التي وصل إليها الخليفة على سبيل المثال ما كان في سنة 366 هـ / 976 م عندما " قرئ سجل أحد القضاة في الجامع الأزهر ، وهو قائم على قدميه ، فكلما

---

[1] الكفراوي : الشعر العربي بين الجمود والتطور ص 189 .
[2] نفسه: ص 189 .
[3] العباسي الشيخ عبد الرحيم بن أحمد : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب – بيروت 1947 م ، جزء 3 ص 28 – 29 .
[4] اسماعيل عز الدين : التفسير النفسي للأدب ، دار العودة – بيروت ط 4 / 1981 ص 32 – 33 .

مرّ ذكر المعزّ أو أحد من أهله أومأ بالسجود ، ولما أسند القضاء أيضا في عام 398 هـ / 1008 م إلى مالك بن سعيد الفارقي قرئ سجله بالقصر وهو قائم على رجليه ، وكان القاضي كلما مرّ ذكر الحاكم في السّجل قبّل الأرض ، وقد أمر الناس في الحرمين في إحدى السنين أن يقوموا عند ذكر هذا الخليفة ، وكان إذا ذكر في الأسواق ومواضع الاجتماع بمصر قام الناس وسجدوا " [1].

وهذا التقديس ظهر شعرا على شكل غلو مفرط ، رفع الخليفة إلى مرتبة الخالق أحيانا أو نسب إليه قدرات خارقة تفوق البشر العاديين كتصوير أبي العتاهية للمهدي :

يا ناق خذي بنا ولا تهنى نفسك مما تـــــرين راحات
حتى تنـــافي بنا إلى ملك توجـــــــــــه الله بالمهابات
عليه تاجـــان فوق مفرقه تاج جلال وتاج أخـــــيات
يقول للريح كلما عصـفت هل لك يا ريح في مبـاراتي [2]

فالمهدي في هذه الأبيات ملك ولم يصفه بصفته الإسلامية كخليفة أو صفته الرسمية كأمير المؤمنين ، لكنه ملك توجهُ الله بالمهابات وعليه تاجان : تاجُ ملك وتاج أخيات ويتحدى الريح ، فلو أنه سابقها لأنتصر عليها.

تنافس الشعراء في بلوغ رضا الممدوح وكانت الوسيلة الوحيدة للوصول إليه الغلو " كانوا يتنافسون بعنف فيما بينهم للوصول إلى أبواب هؤلاء الحكّام الذين وجدوا في شعر الشعراء متنفسا لأهوائهم وتحقيقا لمطامعهم ومن هنا شغل شاعر هذا القرن – يقصد القرن الرابع الهجري – نفسه وأجهد عقله لنظم أكبر قدر ممكن من قصائد المدح في سيّده وأثقل كاهله في البحث عن معان ترفع من قدر ممدوحه وتصفه في مرتبة فوق كل مناوئيه وخصومه السياسيين في داخل الدولة وخارجها " [3] ، وانعدم الذكاء والفطنة من الحكام وحل محلها الغرور والتباهي.

ومما يروى عن الوزير الصاحب بن عباد – ت 385 هـ - في هذا الشأن أنه :

" يعمل في أوقات كالعيد والفصل شعرا ، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنجـــم ، ويقول له : قد نحلتك هذه القصيـدة ، امدحني بها في جملة الشعراء ، وكن الثالث من المنشدين ، فيفعل ذلك أبو عيسى ، وهو بغدادي محكك ، قد شاخ على الخدائع وتحنّك ، وينشد فيقول الصاحب عن سماعه شعره في نفسه ووصفه بلسانه ، ومدحه من تحيير :

أصد يا أبا عيسى : فإنك والله مجيد ، زه يا أبا عيسى ! قد صفا ذهنك ، وزادت قريحتك وتنقحت قوافيك ، ليس هذا من الطراز الأول ، حين أنشدتنا في العيد الماضي ، مجالس تخرّج الناس ، وتهب لهم الذكاء ، وتزيدهم الفطنة ، وتحول الكودن عتيقا والمحمر بوادا ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنية وعطيّة هنيئة ، ويغايظ به الجماعة من

---

[1] متز آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الدار التونسية للنشر – تونس / المؤسسة الوطنية للكتاب : الجزائر 1405 هـ / 1986 م ، جزء 1 / ص 238 .

[2] موافي عثمان : التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية ، ديسمبر 1973 م ص 147 .

[3] أبو حاتم نبيل خليل: اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري من خلال يتيمة الدهر ، دار الثقافة – الدوحة ، 1405 هـ / 1985 م ص 119 .

الشعراء وغيرهم ، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرض مصراعا ولا يزن بيتا ، ولا يذوق عروضا والذي غلطه في نفسه ، وحمله على الإعجاب بفضله والإستبداد برأيه أن لم يجبه قط بتخطئة ، ولا قوبل بتسوئة ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيدنا ، وصدق مولانا ، ولله درّه ما رأينا مثله ! من ابن عبد كان مضافا إليه ؟ ومن ابن ثوابة نقيسة عليه ؟ ومن ابراهيم بن العباس الصولي ؟ ومن صريع الغواني ؟ ومن أشجع السلمي ، إذا سلك طريقهم ؟ وقد استدرك مولانا على الخليـــل في العروض ، وعلى أبي عمرو ابن العلاء في اللغة ، وعلى أبي يوسف في القضاء ، وعلى الإسكافي في الموازنة ، وعلى ابن نويحت في الآراء والديانات ، وعلى ابن مجاهد في القراءات ، وعلى ابن جـــــرير في التفسير ، وعلى أرسطاليس في المنطق ، وعلى الكندي في الحذق ، وعلى ابن سيرين في العبارة وعلى أبي العيناء في البديهة ، وعلى ابن كعب في الفردوس ، وعلى عيسى بن كعب في الرواية ، وعلى الواقدي في الحفظ ، وعلى النجار في البدل ، وعلى ابن ثوابة في التقفية ... ، فتراه عند هذا الهدر وأشباهه يتولى ويبتسم ، ويطير فرحا به وينقسم ، ويقول : ولا كذي ، خمرة السبق لهم ، وقصرنا أن نلحقهم أو نقفو أثرهم ، وهو في ذلك يتشاجى ويتحايك ، ويلوي شدقه ليبتلع ريقه ، ويرد كالآخذ ، ويأخذ كالممتنع " [1].

والصاحب بن عباد مثال عن بعض حكام ذلك العصر الذين كان على الشعر مجاراتهم في رغباتهم والتعلق لهم ليكون مقبولا وينال مكانة اجتماعية مرموقة فلم تعد العبرة في الجودة والجزالة والرونق ، بل أصبحت مقدار المبالغة التي ترفع السيد فوق المستوى البشري ، فلم يعد الشعراء كالأنبياء وتغيّرت وظيفة الشعر ولم تعد تنطبق عليه الصفات التي أطلقها عليه ابن خلدون – ت 808 هـ - حين قال : " واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلا يرجعون إليه في كثير من علومهم وحكمهم " [2].

كما يذكر ابن خلدون بعد ذلك كيف انحط الشعر وفقد مهمته : " ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان وإنما تعلموه صناعة ثم مدحوا بأشعارهم أمراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالبين معروفهم فقط لا سوى ذلك من الأغراض كما فعله حبيب والبحتري والمتنبي وابن هانئ ومن بعدهم وهلم جرا فصار غرض الشعر في الغالب إنما هو الكذب والإستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للأولين كما ذكرناه آنفا وأنف منه لذلك أهل الهمم والمراتب من المتأخرين وتغيّر الحال فيه وأصبح تعاطيه هجنة في الرئاسة ومذمة لأهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار " [3].

بعد أن كان للشعر مهمة تعليمية توجيهية أولا ثم نفعية ثانيا في الجاهلية والعصر الإسلامي ، انقلبت الآية في العصر العباسي ورجحت كفة الميزان لصالح الطبقة الحاكمة فأصبح الشاعر تابعا لمزاج الحاكم إذا أراده مدافعا عنه ، عادا لخصاله ، خصما لأعدائه ، أو إذا أراده جليسا للتسلية والمتعة الشكلية البحتة وكان لا بد على الشاعر من اتباع هذه الوجهة رغبة أو رهبة. " فلم يكن الحكام ليتقبلوا من الشعراء إلا كل ما يقوي مهابتهم في نفوس المحكومين ، ويعمل على تضخيم صورهم في أوهام الرعية ، ولم يكن الشعراء

---

[1] متز آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج 1 ص 181 – 182 .

[2] ابن خلدون،عبد الرحمان : المقدمة ، دار الفكر العربي – بيروت ط 1 / 1997 ص 442 .

[3] نفسه:ص 453 .

بقادرين على المساس بهذا المطلب ، لأن ذلك سيؤدي بهم في بعض الأحيان إلى اللحاق باللطيف الخبير ، أو إلى الدخــول في غياهب السجون ، أو إلى معاناة شظف العيش وقسوته على أقل تقدير " [1].

لم يكن تصوير الشعراء للحكام غلوا دائما فأحيانا كانت حياتهم مترفة لدرجة لا تصدق ، فما ذكره ابن خلدون عن محمد بن عبد الحميد " بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي نَقَلتهُ من جراب الدولة (غلات السود) سبع وعشرون ألف ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم ، ومن الحلل النجرانية مائتا حلة ، ومن طين الختــم مائتان وأربعون رطلا (كنكر) أحد عشـــــر ألف ألف درهم مرتين وستمائة ألف درهم (كور دجلة) عشرون ألف ألف درهم وثمانمائة درهم (حلوان) أربعة آلاف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم ، (الأهواز) خمسة وعشرون ألف درهم مرة ومن السكر ثلاثون ألف رطل (فارس) سبعة وعشرون ألف ألف درهم ، ومن ماء الورد ثلاثون ألف قارورة ، ومن الزيت الأسود عشرون ألف رطل ... " [2] ولا بد أن يقابل هذا الدخل الكبير نفقات كبيرة فيما يجب وفيما لا يجب فقد ذكر صاحب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري جانبا منها فقال : " وكانت نفقات دار الخلافة عظيمة جدا ، فكانت نفقات المطابخ والمخابر عشرة آلاف دينار ، وكان يطلق في كل شهر في جملة نفقات المطبخ لثمن المسك وحده ثلاثمائة دينار ، مع أن الخليفة لم يأكل طعاما فيه مسك ، ... وكان يصرف للسقائين مائة وعشرون دينارا في الشهر ، ومائتا دينارا لثمن الشمع والزيت وثلاثون دينارا للأدوية وثلاثة آلاف دينار لنفقات خزائن الكسوة والخلع والطيب وحوائج الوضوء والحمام ، ونفقات خزائن السلاح " [3].

ولم يكن الشعراء بمعزل عن هذا الترف والنعيم فقد نالهم منه جانب كبير ، فقد كان المداحون منهم في عداد الأغنياء ، فعطايا الخلفاء والوزراء كانت فوق الوصف ، فالبرامكة على سبيل المثال : " كانوا إذا كسبوا معدما فإنما هو الولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستنفده يوم أو بعض يوم " [4].

يؤدي الترف دائما إلى انتشار المجون ، فالمال إذا زاد عن الضروريات ، صُرف في الكماليات وكذلك الحرية الفكرية التي شجعها بعض الخلفاء أدت إلى انتشار مذاهب وعقائد غريبة عن المجتمع الإسلامي نُقلت إليه من الأمم التي تعامل معها ، فظهر نوع من التحلل والتفسخ الأدبي في أوساط الكتّاب والشعراء والأدباء مثلما يمكن أن يحدث في أي ظرف زمني مشابه ، ومن ثم فلم يبق الغلو منتصرا على التخيل الكاذب المجافي للحقيقة والصدق ولكن صار أسلوبا يستعان به على صوغ معاني الانحراف عن القيم الخلقية والاستهتار بمبادئ الدين والعقيدة " [5].

لم يكن الترف والتحور الفكري السببان الوحيدان في انتشار المجون ، فلا بد أن يضاف إليهما سبب لا يقل أهمية عنهما وهو انتشار الإماء بصفة واسعة ، فقد تعددت أصول الجواري من فارسيات أو روميات ... كما تعددت مواهبهن فكنّ أديبات ومغنيات

---

[1] مومني قاسم: نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة ، 1982 ص 310 .
[2] ابن خلدون : المقدمة ص 127 .
[3] متز آدم : الحضارة الإسلامية ج 1 / 247 .
[4] ابن خلدون : المقدمة ص 127 .
[5] عيكوس الأخضر : ظاهرة البديع ص 333 .

وإليهن يُرجع طه حسين انتشار المجون في العصر العباسي ، فيعقد مقارنة بين الشعراء الإباحيين في العصر الجاهلي والإسلامي والشعراء الإباحيين في العصر العباسي فيصل إلى خلاصة يقول فيها : " كان في جاهلية العرب وصدر الإسلام وأيام بني أمية شعراء يحبون الفتك ، ويتحدثون به ، فلإمرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة في ذلك شعر كثير ، ولكن هؤلاء الشعراء كانوا يؤثرون العفة وحسن القول ، حتى في الفتك والفحش ، وكان شعرهم الفاحش قليلا جـــدا ، بالقيـــــاس إلى شعرهم العفيف ، وكان الشعراء الصادقون في الحب ، المؤثرون للعفة والطهارة في كل ما يقولون ، كثيرين جدا بالقياس إلى هؤلاء الشعراء الفاتكين ، ذلك لأن سلطان الإماء كان ضعيفا جدا ، أو لم يكن موجودا في هذه العصور ، ولأن الرجال الأحرار كانوا يؤثرون كرامتهم على لذاتهم ، فكانوا يؤثرون نسائهم على إمائهم ، أما في أيام بني العباس فقد تغيرت الحال تغيرا شديدا ، كثر الإماء كثرة فاحشة ، وتفوقن تفوقا فاحشا ، في الأدب والشعر والغناء ، وفي ضروب الزينة واستهواء الرجال ، وتغيرت أخلاق الرجال فتهالكوا على اللذة واستبقوا إلى الشهوات فكان هذا الفساد العظيم ، الذي يمثله غزل أبي نواس بالنساء والغلمان " [1].

يظهر من كل هذا مقدار تأثير الأجانب وخصوصا الفرس في الحياة العباسية وفي الشعر العباسي ، وكثير من الشعراء العباسيين لم تكن أصولهم عربية ، فعلاوة على محاولتهم نشر مذاهبهم وعاداتهم تعصبوا لأصولهم فظهرت الشعوبية التي لم تكتف " بمهاجمة الفضائل العربية ، بل راحت تعمل على تفسيخ القيم الخلقية العربية الإسلامية ، فأكثروا من الشراب والمجون ، وجاهروا بالخلاعة والإنحراف الجنسي واعتبروا ذلك نوعا من التحرر ومثلا في الظرف " [2] ، وظهر الغلو في شعرهم الماجن وشعرهم الشعوبي – إن صح التعبير – الذي هاجموا فيه ، وأبو نواس الذي يعد إمام مذهبهم يُعدّ كذلك من أكثر الشعراء غلوا الذين مهدوا سبيله لباقي الشعراء والدكتور شوقي ضيف ينفي عن ثورة أبي نواس صفة الجنسية بل يصفها بالثورة الحضارية " ثورة الحضارة الفارسية وكل من اتصل بها من فهم ومجون على العرب وحياتهم الإسلامية وهو يثور في ضجيج وعجيج وصياح وهجوم على الشعر وتقاليده " [3] وقد حفظ ديوانه العديد من القصائد التي ذمّ فيها العرب أو الشعر العربي فما قاله مفضلا الحياة الجديدة على البادية :

دع الأطلال تسقيـها الجنوب ... وتبلى عهد جـدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء أرضا ... تخبّ بها النجيبــة والنجيب
بلاد نبتها عشـــــــر وطلح ... وأكثر صيـــدها ضبع وذيب
فلا تأخذ عن الأعراب لهوا ... ولا عيشا فعيشـــهم جديب
دع الألبان يشربها رجـــــال ... رقيق العيش بينهـــــم غريب
إذا راب الحليب فبل عليــه ... ولا تحرج فما في ذلك حوب [4]

---

[1] حسين طه : حديث الأربعاء ،ط9 دار المعارف – مصر 1968 ج 2 ص 105 .
[2] الدوري عبد العزيز : الجذور التاريخية للشعوبية ، دار الطليعة – بيروت 1981 ط 3 ص 85 .
[3] ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف – مصر ط 8 ص 99 .
[4] أبو نواس الحسن ابن هانئ : الديوان ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي – بيروت ص 11 .

لا تحتاج هذه الأبيات إلى تعليق فكل ما فيها ذم للحياة البدوية فالأطلال لا تهم ولتغطها الرياح والإبل رغيف العربي في رحلاته كذلك فقدت قيمتها ولا يعرف الأعراب اللهو وحياتهم جديّة صعبة يهتمون بنباتات صحراوية ويصطادون الضباع والذئاب ويشربون اللبن ولا يعرفون الترف ، وينتقل أبو نواس بعد ذلك إلى وصف الخمر والإشادة بها وبساقيها ويختم قصيدته بمقارنة بين حياة الأعراب وحياة الفرس.

فهذا العيش لا خيم البوادي وهذا العيش لا اللبن الحليب
فأين البدو من إيوان كسرى وأين مـــــن الميادين الزروب
غررت بتوبتي ولججت فيهـــا فشقي اليوم جيبـك لا أتوب [1]

أبو نواس في خاتمة القصيدة يضع قواعد حياته ، فالحياة بين الحانات والساقين لا حياة البادية والخمر لا الحليب ، ولا يمكن المقارنة – حسبه – أبدا بين إيوان كسرى وميادينه وبين خيام الأعراب ومراعيهم.

يرى طه حسين في حديث الأربعاء أن أبا نواس كان على حق فلا يجب أن تتغير الحياة ويبقى الشعر على حاله فالشاعر الذي يسكن قصرا ببغداد غير الشاعر الذي يسكن خيمة بنجد ، فيقول : " ولولا ما نعرفه سيرته وإدمانه ، لكان من الحق أن نشك في أنه من اللهو والمجون بحيث يصف نفسه ، وأن نتساءل أليس هذا الغلو والإسراف أثرا من آثار التعصب لمذهبه الجديد ؟ على أن هذا التعصب الجديد ، على حسنه واستقامته وعلى أن أبا نواس موفق فيه ، لم يسلم من أشياء تمكننا من أن نفهم بعض الناس ، ونعيهم عليه فهو ليس مذهبا شعريا فحسب ، وإنما هو مذهب سياسي أيضا ، يذم القديم ، لا لأنه قديم - بل لأنه قديم ولأنه عربي ويمدح الحديث – لا لأنه حديث بل لأنه حديث ولأنه فارسي ، فهو إذن مذهب تفضيل الفرس على العرب " [2].

ب : الأسبـــاب النقديـــة

دعا النقاد العرب القدامى الشعراء إلى الالتزام بعمود الشعر و عدم الخروج عن المعاني والأساليب القديمة بل هناك منهم من دعا إلى المدح أو الرثاء أو الهجاء بصفات بعينها [3] و كاد هذا الأمر أن يؤدي بالشعر إلى الدوران في حلقة مفرغة من التكرار العقيم لصور لم يعد لها وجود في حياة الشاعر فهل يمكن لشاعر عباسي عاش في بغداد بين قصورها و حدائقها أن يصف أطلا ل نجد و هو لم يشاهد لا نؤيا و لا أثافيا، الشاعر العباسي عاش حياة مستقرة لا يعرف فيها معنى الرحلة و لم توجد بينه و بين الناقة تلك العلاقة الحميمة ليصفها بشغف كما فعل طرفة ابن العبد مثلا.

لكن الناقد القديم لم يحاول مراعاة التغير الجذري الذي حصل بل على العكس اتخذ الشعر القديم مرجعيته الوحيدة في تحديد القيم الجمالية للشعر فكل ما قاله الشاعر القد يم جميل و كلما اتبعه الشاعر المحدث كان قريبا من الجمال فللفظ شروط و للمعاني مقاييس و لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يسامح الناقد الشاعر إذا تعداها فلا بد له أن يصف الممدوح المثال

---

[1] أبو نواس : الديوان ص 12 .

[2] حسين طه : حديث الأربعاء ج 2 ص 90 .

[3] مندور محمد : النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة – مترجم عن الأستاذين لانسون و مايبه ، دار نهضة مصر الفجالة ، القاهرة ، دون تاريخ ص 323 – 326 .

و المرأة النموذج حتى لو كان ذ لك مخالفا تماما للواقع [1]. "و يرى نقاد العرب أن الشعراء القد ماء لم يكونوا في حاجة كثيرة إلى الصنعة ليكتسب شعرهم حسنه بل إن حسن البداوة كما يقول المتنبي حسن غير مصنوع و الأساس أن الشعر القد يم قد فاز بكل شيء و لم يبق للمحدثين شيئا فسد ت في نظرهم طرق التعبير و لم يجدوا أمامهم غير الصنعة أو التصنيع ليكسبوا شعرهم شيئا من الطرافة و الرونق" [2] وفي الواقع هذه الفكرة ليست جديدة تماما و لا وليدة العصر العباسي بل تعود أصولها إلى الشعر الجاهلي نفسه فعنترة ابن شداد قال :

هل غادر الشعراء من متر دم أم هل عرفت الدار بعد توهم [3]

و كذلك قال زهير بن أبي سلمى .

ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا [4]

فإذا كان هذا حال الشعراء الجاهليين مع المعاني فما عسى الشاعر العباسي يقول ؟و هو الذي واجه ضغوطا شديدة من النقاد للالتزام بالنهج القديم وشاعت فكرة استنفاد المعاني ،و لم يعد أمام الشاعر إلا اللفظ ليحوره و يغيره ، فالجاحظ قال في الحيوان :"و قالوا لم يدع الأول للأخر معنى شريفا ، ولا لفظا بهيا إلا أخذه إلا بيت عنترة : فترى الذباب . . ." [5]

و بعده التمس القاضي الجرجاني العذر للشاعر المحدث فالمعاني قد نفذت فقال :" و متى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة و أبعد عن المذمة لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني و سبق إليها ، و أتى على معظمها " [6] و لم يعد للمحدثين ما يقولونه ، فكل معنى جميل قد طرق أو ربما استهلك وإذا " أتعب خاطره و ذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ونظم بيتا يحسبه فردا مخترعا ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه أو يجد له مثالا يغض من حسنه " [7]

لم تكن فكرة استنفاذ المعاني السبب الوحيد في تكرار الصور القديمة بل شيوع مفهوم أن الأسلوب والألفاظ أساس الشعر فالمعاني معروفة للجميع وقد بدأت هذه الفكرة مع الجاحظ حين قال في الحيوان: "أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ و سهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع،وجودة السبك" [8]

وتناقل النقاد بعده هذه الفكرة وأكدوا عليها [9].

كما اتخذوا من "تقاليد العرب مقياسا للخطأ والصواب في الشعر و هذه النظرة بلا ريب نظرة تقليدية تضيق على الشعراء مجال القول وتلزمهم التقيد بمعاني السابقين ، وبذلك تمنع كل تجديد ، بل قد تمنع كل صدق ، و تخرج بالشعر كله إلى تجديد الصياغة فحسب " [1]

---

[1] نفسه :ص 326 .

[2] سلام محمد زغلول : النقد العربي الحديث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، دون تاريخ ص 78 .

[3] ابن شداد عنترة: الديوان اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة – بيروت 1423 هـ - 2003 م ط 1 ص 11 .

[4] ابن أبي سلمى زهير: الديوان اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة – بيروت دون تاريخ ص 71

[5] الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون – دار الجيل ، بيروت 1416 هـ - 1996 م ، جزء 3 ص 127 .

[6] الجرجاني القاضي : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 214 .

[7] نفسه :ص 215 .

[8] الجاحظ : الحيوان ، جزء 3 ص 131 .

[9] ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 293 .

لم يكن تقنين النقاد السبب الوحيد في الوصول إلى هذه النتيجة بل لعب الأسلوب القرآني دورا مهما في الحفاظ على الأساليب الشعرية القديمة ، فالقران الكريم نزل بلسان عربي كما جاء في سورة يوسف [2] وطبعا تخير القرآن أفضل الأساليب وأفصحها وأجزلها ؛ وبذلك أكسب اللغة العربية قداسة . ولم يعد بإمكان الشاعر الخروج عن هذه التقاليد الموروثة ؛ فالجاحظ مثلا ، يرفض أي تجديد في المجاز حين قال'و ليس هذا مما يطرد لنا أن نقيسه ،و إنما نقدم على ما أقدموا ،و نحجم عما أحجموا ، و ننتهي إلى حيث انتهوا [3] ، فإذا كانوا قديما 'يسمون الرجل جملا و لا يسمونه بعيرا ، ولا يسمون المرأة ناقة و يسمون الرجل ثورا ، و لا يسمون المرأة بقرة ، و يسمون الرجل حمارا و لا يسمون المرأة أتانا ، و يسمون المرأة نعجة ، ولا يسمونها شاة [4] ، و هذا ما ضيق مجالات المجاز في وجه الشاعر المحدث و جعله يدور في فلك القديم ، إذا حاول الخروج عنه ، وجد الناقد له بالمرصاد فاللغة القديمة هي التي تفسر القران الكريم كما وضحه د/مصطفى ناصف قائلا :" من بين أسباب محافظة النقد العربي على ذوق إستعاري قديم ، الجو الديني الكلامي في تفسير القران الكريم ، فقد أصبحت الرجعة إلى اللغة القديمة مسألة يتوقف عليها فهم العقيدة فهما منزها ،و كذلك يرتبط المبدأ اللغوي بوقار كبير [5].

كان المخرج الوحيد الذي وجده أمامه البديع ،و بصورة أدق التجديد في الصياغة ،و تحوير المعاني القديمة ،و توليد المعاني المستهلكة و للقاضي الجرجاني لمحة ذكية -كما سماها د/منير سلطان [6]-

أن الإفراط الذي وقع فيه المحدثون ،كان من جراء القيود التي فرضت علىهم

البديع كان ثورة على المألوف من المعاني و الصور الشعرية التي لم تعد تثير المتلقي ، فكان لا بد من الوصول إلى سبل أخرى لتجديد الشعر العربي فكان الغلو أحد هذه السبل ليزيل "الرتابة عن الأشياء ،و يكشف عن علاقات جديدة بين عناصر الوجود ،تقدم لنا عالمنا هذا القديم ، و نفوسنا هذه التي تلا بسنا بشكل جديد مدهش ويحرك الفكر و يثير التأمل ، و ينشط الشعور بالغضارة و البكارة ،و يعيد الكائن البشري إلى مكانه من العالم و صلته العميقة بكل مظاهره و ظواهره [7]

هذا الوصف الشعري هو في الأصل للمجاز،لكن الغلو جزء من المجاز الذي يجدد اللغة الشعرية و يعيد لها حيويتها و جاذبيتها ، و يكسر الروتين الذي سقطت فيه المعاني جراء التكرار ، فأبو نواس مثلا – في بيته :

---

[1] مندور محمد : النقد المنهجي عند العرب ص 325 .

[2] سورة يوسف آية 2

[3] الجاحظ : الحيوان ، جزء 1 ص 212 .

[4] نفسه:ج1 ص212.

[5] ناصف مصطفى : الصورة الأدبية ، دار الأندلس ط 2 1401 هـ - 1981 م ص 96 .

[6] سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ص 132 .

[7] عبد الله محمد حسن: الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف – القاهرة ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دون تاريخ ص 122 .

و أخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق

كان لا بد عليه أن يخرج عن المألوف في وصف الشجاعة كالتشبيه بالأسد ، أو وصف شدة الضرب و الطعن ، فالتفت إلى إدعاء خوف النطف التي لم تخلق ليكون الممدوح في قمة الشجاعة و المهابة .فلو مدحه دون هذا الغلو لما كان شعره مميزا ولما أثار كل هذا الجدل و النقد حوله ، فأبو نواس هو أحد الشعراء المحدثين الذين ليس همهم "أن يقولوا أيّ قول،بل همهم أن يبرزوا أقوالهم محلاة بأبهى حلل البيان،موشاة بأروع سمات الكلام ، وذلك لا يتأتى إلا بالزخرف في العبارة و التنميق في الصياغة ، والتوليد في المعنى ، والمبالغة فيه و الإحالة إلى حد قد يخرجه عن حدود المعروف ، و يبعده عن آفاق المعقول" [1]

ومن ناحية أخرى أدى اختلاط العرب بغيرهم من الأمم إلى الأصهار و التوالد ، فنشأ جيل جديد يحمل السمات الأجنبية إلى جانب العربية ،فتغيرت الحياة العقلية العربية وانفتحت على الثقافات الأخرى من فارسية و يونانية و هندية ، فكان العصر العباسي "عصر تحضر عميق ، و نظر و فكر ، عهد مدنية تضعف معها قوة الفطرة الشعرية و تضيق فيها آفاق الخيال مما يوشك أن تصبح معه مدنية عملية بالقياس إلى حالة العصر بين السابقين لهذا العصر ، فخضع الشعر في ظلالها لما تخضع له كل فروع الحياة من نظر و فكر و قياس ،و كان حظ العقل فيه أرجح من حظ العاطفة ، وكان نصيب الصنعة فيه أكثر من نصيب الطبع" [2].

فأصبح للفلسفة مكانتها في الحياة الفكرية ، بعد حركة الترجمة التي قادها السريان ، و الشرح و التلخبص الذي تكفّل به المسلمون ، و لا بدّ أن يتأثر الشعر بكل هذا فنشأت مدرسة تعبيرية جديدة " لسانها عربي صميم ، و عقلها مزيج من ثقافات الأمم ، و طابعها حضارة العصر النامية وواقع الحياة المغيّر " [3]

انتشرت الأفكار و المصطلحات الفلسفية في الشعر العباسي بصورة ، و قد أصبحت سمة مميزة لبعض الشعراء كأبي نواس و المتنبي و هما شاعران يوصفان بالغلو ، فما أورده د/ شوقي ضيف عن النظام أنه سمع أبيات أبي نواس التي يقول فيها :

يا عاقد القلب عني هلا تذكرت حـــــلا
تركت مني قليـــــلا من القليل أقـــــــــلا
يكاد لا يتجـــــــــزّأ أقـل في اللفظ مذلا

فقال أنت أشعر الناس في هذا المعنى و الجزء الذي لا يتجزّأ من دهرنا الأطول نخوض فيه ما خرج فيه لنا من القول ما جمعته أنت في بيت واحد" [4]

و ذكر د/ شوقي ضيف أبياتا أغرب فبها أبو نواس حتى صوّر الحسي بالمعنوي كقوله :

---

[1] موسى أحمد إبراهيم : الصبغ البديعي في اللغة العربية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة 1388 هـ - 1969 م ص 55 .

[2] البهبيتي نجيب محمد : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، دار الفكر مكتبة الخانجي ، دون تاريخ ص 274 .

[3] عيكوس الأخضر: ظاهرة إنتشار البديع في الشعر العربي ومواقف النقاد والبلاغيين منها ، مجلة كلية الآداب – وجدة المملكة المغربية ، العدد 7 ص 13 .

[4] ضيف شوقي : الفن ومذاهبه ص 137 .

و قد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهبه الشك

و قوله :

صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دقّ في ذهن لطيف

و قوله :

فتمشت في مفاصلهـــــــم كتمشي البرد في السقـــــــــم [1]

و أكّد شوقي ضيف أن بعد أبي نواس ،أصبح لزوم المتكلمين و المعتزلة سمة مميزة للشاعر الممتاز [2] فالمتنبي مثلا كثيرا ما اتهم بالخروج عن طريق الشعر إلى الفلسفة و هو من العيوب التي صنّفها الثعالبي في اليتيمة و أورد له العديد من الشواهد كقوله :

تمتع من سهاد أو رقـــاد و لا تأمل كرى تحت الرجـام

فإن لثالث العالين معنى سوى معنى انتباهك و المنام

و أورد تعليقا لابن جني عليه يقول فيه :" أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها " [3]

و ابن جني هو المعروف بدفاعه المستميت عن المتنبي و شعره .

يؤكد محمد مندور أن بعض معاني المتنبي لا يمكن الوصول إليها لو لم يكن مثقفا ثقافة فلسفية كقوله :

و لجدت حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى ومن السرور بكـاء

" فهذا المعنى من معاني الفلاسفة ، و ما نظن أن المتنبي كان يستطيع أن يصل إليه لو أنه لم يكن مثقفا تثقيفا فلسفيا فهو يعتمد على قول الفلاسفة(إذا زاد الشيء عن حدّه انقلب إلى ضده)فالجود إذا وصل إلى منتهاه كاد أن ينقلب بخلا ، و لئن كان هجوم السرور معنى تمليه تجاربنا فإن استخدام هذه الحقيقة و تعميمها حتى تشمل الكرم و البخل و أمثالها لا شك رجوع إلى المبدأ الفلسفي العام" [4]

كما عيب على المتنبي أيضا امتثاله ألفاظ الصوفية فقد قال الصاحب عن قوله :

نحن من ضايق الزمان له فيك و خانته قربك الأيـــــام [5]

" لو وقع في عبارات الجنيد و الشبلي لتنازعته المتصوفة دهرا بعيدا " [6]

صنّف شوقي ضيف العلم كأحد أسباب انتشار المبالغة ،حيث يرى أنه لم يعمق التفكير الفني و لم يفتح أمامه آفاقا جديدة "و لم يتسرب شيء إلى آثاره و نماذجه ، و لعل من أكبر الدلالة على ذلك ما نراه عند الشعراء من إغرامهم بلون المبالغة وهو لون يخالف تماما طبيعة

---

[1] ضيف شوقي : المرجع السابق ص 137 – 138 .

[2] نفسه: ص 138

[3] الثعالبي : يتيمة الدهر جزء 1 ص 172 .

[4] مندور محمد: النقد المنهجي عند العرب ص 203 .

[5] يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام في قربك فبخلت عليهم بك فحرمتهم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم في القرب منك يريد أن الزمان يحبه ويعشقه ويغار على قربه ويريد أن ينفرد به دون الناس .

[6] الثعالبي : يتيمة الدهر جزء 1 ص 171 .

العقل العلمي الذي يميل إلى التحقيق و التدقيق و لا تتجاوز ألفاظه ما يريد التعبير عنه ، فالشعر كالعلوم الرياضية حقائق و دقة في التفكير و انحياز عن المبالغة و توفيقا بين الخيال و العقل والتصور والواقع" [1]

لا تبدو لي العلاقة واضحة تماما بين العلم و المبالغة و لم يوضح الدكتور كيف أدى إلى انتشارها ، و الشعر أبعد ما يكون عن العلوم الرياضية ، و الخيال إذا لم يكن في الشعر ، فإنه لا يكون أبدا ، ثم انتقل الدكتور إلى ذّم المبالغة فيقول :"و نحن لا نرتاب في أن الشعر حين يفضي إلى هذا النوع من المبالغة لا يعبّر عن احساس أو وجدان ،إنما يعبّر عن نوع من السقوط الفني ، إذ يذهب الشعراء بعيدا في تصوراتهم و أفكارهم و كأنهم يجنحون إلى كل إفراط في الشعر و لكننا لا ننسى ،فقد تركنا القرن الثالث إلى قرون التصنع التي لا بد أن ينحاز شعراؤها إلى كل ما يضيف صعوبة أو غرابة في التعبير" [2].

هذا التعميم منه فيه جور على المبالغة ،فهي ليست سيئة مطلقا ، بل فيها العديد من الصور الرائعة ، التي أضافت جمالا للشعر العربي وثم إن الشعراء مطلوب منهم أن يذهبوا بعيدا في تصوراتهم ، أفكارهم ، عواطفهم و خيالهم و كما يقول عبد العزيز عتيق :" و للخيال صلة قوية و ارتباط كبير بالعواطف ، و لهذا فكلما كانت العاطفة قوية احتاجت إلى خيال قوي يعين على إظهارها و روعتها و يزيد من درجة تأثيرها ، و بالتالي إن ضعف أي منهما يؤثر أثرا كبيرا في ضعف الآخر " [3]

بعد عرض أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الغلو في العصر العباسي والتي كان من بينها ترجمة الفلسفة اليونانية و الفكر الأرسطي خصوصا ،لابد من عرض موجز لرؤية أرسطو للغلو .

ثانيا : الغلو عند أرسطـو

عندما ناصر قدامة بن جعفر الغلو في الشعر ردّ عبارة " أحسن الشعر أكذبه " إلى فلاسفة اليونان قائلا : " ... وكذا يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم " [4] دون أن يحدد فيلسوفا معينا لكن ابن وهب نسب الرأي نفسه لأرسطو تحديدا " للشاعر أن يقتصد في الوصف أو التشبيه أو المدح أو الذم ، وله أن يبالغ ، وله أن يسرف حتى يناسب قوله المحال ويضاهيه ، وليس المستحسن السرف والكذب والإحالة في شيء من فنون القول إلا في الشعر وقد ذكر أرسطو طاليس الشعر فوصفه بأنه الكذب فيه أكثر من الصدق ، وذكر أن ذلك جائز في الصياغة الشعرية " [5].

---

[1] ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 291 .

[2] نفسه :ص 292 .

[3] عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية – بيروت – 1391 هـ - 1972 م ، ط 2 ص 118 .

[4] ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ، ص 62

[5] ابن وهب إسحاق: البرهان في وجوه البيان ، ص 185

فهل أن أرسطو أجاز الكذب في الشعر ؟ وللتأكد من ذلك لا بد من العودة إلى مؤلفاته في هذا المجال ، ففي كتاب الشعر ، أكد أرسطو غير ما مرة أن بإمكان الشاعر اللجوء إلى المستحيل في قصائده.

" ومع أن عنصر الروعة ينبغي إدخاله في التراجيديا فإن الشعر الملحمي أشد قبولا لغير المعقول ، لأن الشخص لا يرى وهو يعمل ومخالفة العقل هي أكبر ما يعتمد عليه عنصر الروعة " [1] ، أرسطو هنا يجيز مخالفة العقل في التراجيديا والشعر الملحمي ، ثم يعود ليؤكد ذلك بأمثلة من الواقع " الأمر العجيب يلذ ، ويكفي لإثبات ذلك أن كل من يروي قصة يضيف إليها بعض العجائب ليسر السامعين ، وقد كان هوميروس خاصة هو الذي علم الشعراء الآخرين كيف يتقنون الكذب " [2] هذا الكلام لا يحتاج إلى شرح لكن ما بلفت الانتباه فيه حقا هو أن الكذب في الشعر يحتاج لتعلم إتقانه والذي علمه لباقي الشعراء هو هوميروس الذي قال عنه أرسطو " وإن هوميروس - مع استحقاقه للثناء من نواح كثيرة أخرى – لأعظم به جدارة هو الوحيد من بين الشعراء الذي يعرف ماذا ينبغي أن يكون دوره " [3] وأكتفي هنا بالكلام الذي أورده د / محمود السمرة عن أرسطو و هوميروس : " ومبدأ الغلو هو ما قال به أرسطو في كتابه – الشعر – ومن المأثور عنه قوله : أن هوميروس قد علمنا الكذب بصورة لائقة ، وإذا اعترض معترض بأن وصفه لا يطابق الواقع ، فالجواب هو أنه ليس ضروريا أن يطابق الواقع ، بل أن يطابق خيال الشاعر " [4].

وبعد كل هذه الإشارات في كتاب الشعر عن أهمية المبالغة في العمل الأدبي ما يزال الكتاب حافلا بالدعوات المتكررة إلى الغلو في المعنى : " وينبغي أن يؤثر الشاعر استعمال المستحيل المعقول على استعمال الممكن غير المعقول " [5].

ويؤكد نفس الفكرة بعد عدة صفحات : " وينبغي – على العموم – أن يسوّغ المستحيل اعتمادا على الصيغة الشعرية ، أو على تحسين الواقع ، أو على الرأي الشائع ، فأما على الصنعة الشعرية فينبغي أن يفضل المستحيل المقنع على الممكن غير المقنع ... وأما عن تحسين الواقع فينبغي أن يكون المثال أفضل وأسمى من الحقيقة ، وأما القول الشائع فننسب إليه ما خالف العقل ، ونحتج أيضا بأن الأمور المخالفة للعقل قد يقبلها العقل ، فإنه من المعقول أن يقع شيء خارج عن المعقول " [6].

ففي سبيل الإقناع يمكن للشاعر أن يؤثر المستحيل على الممكن ، يجب عليه كذلك أن يحسن الواقع ، والعقل قد يقبل أحيانا اللامعقول والتخييل هو الذي يحدث التغيير في العمل الأدبي لاقناع السامع أو لتحسين الواقع وحصر الدكتور بدوي طبانه شرطين ليتحقق ذلك :

1- السمو في التعبير ، أي ألا تكون الألفاظ حقيرة ومبتذلة لأنها لا تخيل في المعنى أمرا زائدا ، أو تخيل تخيلا يسيرا ، أو تخيلا رديئا ، أو يكون التركيب تركيبا فاسدا.

---

[1] عياد شكري : كتاب أرسطو طاليس في الشعر نقل ألي بشر بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة 1387 هـ - 1967 م ، ص 138

[2] المرجع نفسه ، ص 138 – 140

[3] المرجع نفسه ، ص 138

[4] السمرة محمود : القاضي الجرجاني ، الأديب الناقد ، ص 176

[5] عياد شكري : كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ص 140

[6] المرجع نفسه ، ص 150

2- المبالغة المطلوبة في الأدب والفنون ، فقد تكون الألفاظ المستولية لا تجاوز القدر الذي يحقق المعنى المطلوب في الإقناع ولا تستطيع أن تخيل فيه معنى أعظم مما يحتمل المعنى المقصود تبيينه " [1].

المحاكاة هي جوهر الشعر عند أرسطو ولا اعتبار للوزن عنده ، وقد عقد مقارنة بين الشعر والتاريخ ليبيّن مكانة المحاكاة فإذا صيغت أقوال هيرودوس في أوزان فتبقى تاريخا ولن تتحول إلى شعر [2].

والمحاكاة – عند أرسطو دائما – ليست مجرد تقليد حرفي للطبيعة للوصول لصورة ثانية لها ، بل للمحاكاة ثلاثة أهداف :

- تصوير الأشياء كما كانت أو كما هي في الواقع.
- تصويرها كما يجب أن تكون.
- تصويرها كما يعتقد أن تكون [3].

فصَّل الدكتور بدوي طبانة هذه السبل الثلاث مع إيراد الأمثلة – من كتاب الشعر- فإذا انتقد الشاعر بأنه لم يصور الأشياء كما هي في الواقع فالرد يكون في أنه صوّرها كما يجب أن تكون ، لا كما هي في الواقع ، أما إذا سلك الشاعر الطريق الأخير أي صوّرها كما يعتقد أن تكون كوصف الآلهة ، فلا يمكن الحكم عليها بأنها مطابقة للواقع أو أنها أحسن منه ، لأنها غير معروفة على وجه التحديد ، بل تعارف عليها الناس [4].

تصوير الأشياء كما يجب أن تكون يحمل معنى إيراد المستحيل في الشعر و هو خطأ يغتفر للشاعر إذا وصل إلى الإقناع كما ورد سابقا ، فالبطل التراجيدي يصور أعظم مما هو عليه و البطل الكوميدي يصور أوضع مما هو عليه ، و قد وضح الدكتور عبد العزيز حموده في المرايا المقعرة رؤية أرسطو لكل منهما : " اشترط أرسطو في ذلك البطل – يقصد التراجيدي منهما – أن يكون أكبر من الحياة "Bigger than life " و قد أسس رأيه ذلك على ملاحظاته لروائع المســـرح الإغريقي آنذاك ، حيث كان البطل "غير عادي " فهو إله مثل زوس أوبروميثيوس و إما نصف إله مثل هرقل و إما ملك مثل أوديب ، و لهذا يتصف البطل التراجيدي الأرسطي بأنه أفضل مما هو عليه في الواقع " Better than he really is " ... لهذا كانت وظيفة المحاكاة الأرسطية تقدم النبيل أكثر نبلا أو الشجاع أكثر شجاعة في التراجيديا ، و الخسيس أكثر خسة و الجبان أكثر جبنا في الكوميديا ، مفتاح الشخصية في الفن من منظور أرسطو هو المبالغة إيجابا و سلبا " [5]

هذا الحث من أرسطو على المبالغة هل كان له تأثير في البلاغيين العرب ؟

لا شك أن اتصال النقد العربي بالفكر اليوناني كان له أثر كبير في النظرة النقدية العربية ، فالنقد الأدبي ما هو إلا انعكاس للتفكير العام السائد في حينه، والتراث اليوناني قد أضاف الكثير للعرب في المنطق والفلسفة والعلوم والنقد كذلك.

---

[1] طبانة بدوي : النقد الأدبي عند اليونان ، مكتبة الأنجلومصرية ، الطبعة الأولى ، 1387 هـ - 1967 ، ص 204

[2] عياد شكري : كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ص 64

[3] سلام محمد زغلول : النقد العربي الحديث ، مكتبة الأنجلومصرية ، دون تاريخ ، ص 65

[4] طبانة بدوي : النقد الأدبي عند اليونان ، ص 13 – 131

[5] حمودة عبد العزيز: المرايا المقعرة ، نحو نظرية نقدية عربية ، يليلة عالم المعرفة عدد أغسطس 2001 ، الكويت.ص340

لكن المشكلة تبقى قائمة في تحديد مواطن هذا التأثير ومداه، فهل غير النظرة النقدية العربية ؟ أم ساهم في إعادة توجيهها؟ أم أنه أثراها فقط ؟

كان للدراسيين آراء متقاربة في هذه القضية ، فجابر عصفور يرى أن الفكر اليوناني قد أسهم " في تعميق الخبرة النقدية عند العرب ، ذلك أن الفلسفة – بمعناها اليوناني الشامل – قد تقدم لدراسها طرائق جديد للتفكير والتأمل وتمنحه قدرا من رحابة الأفق يجعله أقدر من غيره على اقتراب من طبيعة الظاهرة الأدبية ، وتفهم خصائصها النوعية ، كما أن الفكر اليوناني : كان يضيف خبرات جديدة إلى الوعي النقدي المتأصل في البيئة العربية ، ويقدم لهذه البيئة حلولا توصل إليها نقاد آخرون أكثر عمقا ووعيا لكثير من المشكلات الأدبية والنقدية المثارة ،منذ أوائل القرن الثالث الهجري ، وربما قبل ذلك بقليل " [1] .

كما يؤكد د/ قاسم مومني نفس الفكرة قائلا : " مما يجعلنا نؤكد على أهمية الدور الذي لعبه الفكر اليوناني الفكر اليوناني الشامل –كانت- تضع بين يدي دارسها أساليب جديدة للتفكير والتأمل " [2] .

وأكثر ناقدين يظهر عندهما تأثير الفكر اليوناني عموما والنقد الأرسطي على وجه الخصوص ، قدامة بن جعفر ، وإسحاق بن وهب ،فهما قد نصا صراحة على تأثرهما –كما سبق – والأول بينهما قد نال أكبر قدر من العناية من قبل الدارسين الذين اتفقوا على تأثره ، وتمثله لأفكار أرسطو النقدية . فشوقي ضيف يقول عن تفضيل قدامة للغلو :

" ..... محتجا بأنه مذهب الفلاسفة اليونانيين في الشعر،ولا ريب في أنه يشير إلى كتاب أرسطو في الخطابة أو على الأقل لما فهمه منه من مثل قوله إن الصناعة الشعرية ،إنما يقصد بها التخييل لا التصديق وقوله إن الخطابة معدة للاقناع و الشعر ليس للاقناع و التصديق ولكن للتخييل بل أكثر من ذلك نراه يرتضي الإفراط في المديح والهجاء بينما يطلب الحد الأوسط في الخطابة "[3] .

كما كان للدكتور شكري عياد رأيه في هذه المسألة حيث يقول : " إذا كان مثل هذا الأثر قد وجد فيغلب أن يكون في ناحيتين من بلاغة قدامة ، فنون الشعر ، والغلو في المعاني ، فأما في الفنون ، فقد ترك قدامة ذكر الفخر ونظر إلى الرثاء على أنه لون من المديح ، ولعل ذلك صدى لتقسيم أرسطو الشعر كله إلى محاكاة الأفاضل ومحاكاة للأشرار ،وهو ما عبر عنه متى بالمديح وللهجاء وأما في موضوع الغلو .....فماذا يعني باشارته إلى فلاسفة اليونانيين في الشعر ؟ إن لم ينص على كتاب الشعر صراحة ولكننا لا نعرف الوصف الذي وصفه يصدق على كتاب آخر مما ترجم إلى العربية غير هذا الكتاب. " [4]

وللدكتور بدوي طبانة نفس الرأي، [5] بخلاف إحسان عباس الذي استنتج أن فكرة قدامة لا تتطابق تماما مع رأي أرسطو حيث يقول : " وإذا أخذنا بقانون الاحتمال الأرسطوطالسي وجدنا أن بعض أنواع الغلو غير محتملة لكنها ممكنة وهي ما يؤثر أرسطو أن يبعده من حيز الشعر ، وأن بعض ما سماه قدامة الممتنع يقع تحت المستحيل المحتمل وأن أرسطو يفضله على النوع السابق ، هل نقول هنا إن قدامة لم يستطع أن يفهم ما عناه الفيلسوف ؟ إن

---

[1] عصفور جابر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ص 144 .

[2] مومني قاسم : نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ص 104.

[3] ضيف شوقي : البلاغة تطور و تاريخ ص 84.

[4] عياد شكري : كتاب أرسطو ليسفي الشعر ص 233- 236 .

[5] طبانة بدوي :النقد الأدبي عند اليونان ص 232 – 236 .

المثل الذي أورده قدامة لابن نواس :" يا أمين الله عش أبدا " يدخل في غير المعقول (لا في المقنع) هو شيء أنكره أرسطوطاليس في الشعر لأنه يحطم منطق الأشياء وقانون السببية فالمثل صحيح ، ولكن القاعدة العامة التي وضعها قدامة لا تتقيد برأي أرسطو " [1] .

إذا كان قدامة بن جعفر قد استفاد فعلا من فكرة أرسطو فيما يخص الغلو ، فهذا لا يعد عيبا و لا غضا من الجهود التي بذلها بل على العكس يعد إنجاز بالنسبة له فهو كان معاصرا لمتى بن يونس ناقل الكتاب [2] ، أي أنه كان من الأوائل الذين احتكوا به ، قبل انتشار الشروح والتلاخيص .

أما إذا كان لم يتقيد برأي أرسطو فهو لم يكن مطلوبا منه أبدا أن يتقيد بها ، فلكل ناقد ظروفه والأدب الذي يعالجه ، وهذه نقطة تحسب لصالحه لا عليه ، فهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه لم يكن يود التطبيق الحرفي لآراء أرسطو على أشعار اختلفت عما عرفه ،بل محاولة تكييفها وما يتناسب مع الأدب العربي ، كما حدث مع المحاكاة مثلا فهي إن كانت عند أرسطو تقديم ناس أفضل من الفضلاء العاديين أو أسوء مما هم عليه في الواقع ، فإنها في النقد العربي قد أخذت صورة مختلفة فهي تقدم الفضيلة حيث لا توجد ، والسوء حيث لا يكون .

ثالثا : جماليـــات الغلـــو

اتخذ الشعراء الغلو وسيلة للتجديد بعد أن ساد التكرار في المعنى والصياغة . كما كان الغلو أيضا وسيلة لتمثيل المعنى و تأكيده ، فالاستفادة القرآنية عند الرماني أسلوب مبالغة ، كمثـــــــــل قوله تعالى : " سنفرغ لكم أيها الثقلان " [3] ، " ذلك أن الله عز و جل لا يشغله شأن عن شأن و لكن هذا أبلغ في الوعيد ، و حقيقته سنعمد ، إلا أنه لما كان الذي سيعمد إلى شيء قد يقصر فيه لشغله بغيره معه ، و كان الفارغ له هو البالغ في الغالب مما يجري به التعارف ، دللنا بذلك على المبالغة من الجهة التي هي أعرف عندنا لما كانت بهذه المنزلة ليقع الزجر بالمبالغة – التي هي أعرف عند العامة و الخاصة – موقع الحكمة " [4]

كما أن الشعراء استخدموا المبالغة لنفس الغرض أي الإبانة و التوضيح ، فالمتنبي قال مادحا سيف الدولة الحمداني عندما هزم الروم بثغر الحدث سنة 343 هـ :

نثرتهم فـــــــوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم [5]

هذا البيت يتضمن استعارة و تشبيها ، فالاستعارة في نثر قتلى العدو على جبل الأحيدب و هذا ما لا يكون ، فالنثر يكون للأشياء الصغيرة التي يمكن جمعها ثم رميها بصورة عشوائية ، لكن المتنبي عندما أراد أن يبالغ في عدد القتلى و سقوطهم تباعا دون انتظام استعار مفهوم النثر .

للمتنبي أيضا بيت جميل يصف فيه قوة سيف الدولة فيقول :

---

[1] عباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي ص 201 .

[2] عياد شكري : كتاب أرسطو طاليس في الشعر ص 172 -179 .و ص 234 .

[3] سورة الرحمان آية 31

[4] مومني قاسم : نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ، عن النكت في إعجاز القرآن للرماني ص 309

[5] الديوان:مجلد2جزء2ص104

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خـــــــــــالد [1]

فعدد قتلاه كثير ، لدرجة أنه لو كان يضاف إليه عمر كل من قتلهم لكان خالدا ، و أكثر من دلك لهنئت الدنيا به ، فهو ليس مجرد رجل عادي و شجاعته ليست عادية ، فكلما طال عمره عم فضله كل الدنيا و قضت قوته على الأعداء ، و لو لم يستخدم المتنبي أسلوب الغلو لما تمكن من إيصال هذا المعنى بكل هذه القوة و الحيوية.

يمكن اعتبار الإبانة و التوضيح أولى درجات المبالغة ففيها يتم إبراز ما خفي في صورة أقوى ، و في الدرجة الثانية يأتي التحسين و التقبيح و معناه " قدرة التبليغ على تغيير وقع المعاني و الأفكار على نفس المتلقي و عندما تصبح الصورة الفنية وسيلة للتحسين و التقبيح فإنها تؤدي إلى ترغيب المتلقي في أمر من الأمور أو تنفيره منه " [2]

فالشاعر قد يبالغ في صفة من الصفات حسنة كانت أم سيئة فيمدحها أو يذمها كقول ابن الرومي يهجو بخيلا :

لو أن قصرك يا بن يوسف ممتـل إبرا يضيق بها فنـــــــاء المنزل

و أتاك يوسف يستعيرك إبـــــرة ليخيط قد قميصـــــــه لم تفعـــل [3]

و لا يمكن أبدا تصور بخل يصل إلى هذا الحد ، أو تصور فناء بيت يضيق إبرا و لا يعير صاحبها والده إبرة ليخيط قميصه الممزق ، لكن مقام الهجاء يتطلب هذه المبالغة فلو غابت لكان مجرد شعر يصف بخيلا دون أدنى تأثير.

و لا بأس هنا من ذكر أبيات لابن الرومي يمدح البخل في مقام آخر قائلا :

لا تلم المـــــــــرء على بخـــــــله و لمه يا صـــــــــاح على بذلـــــــه

لا عجب بالبخل من ذي حجـــى يكـــــــرم ما تكـــــرم من أجلـــــــه [4]

و لا عجب في ذلك ، فالشعر في هذه الفترة لم يعد مصدر المعرفة الوحيد ، و الشاعر لم يعد نبيا ، بل أصبح في أحيان كثيرة مجرد تابع للحاكم ، إذا غالى في مدحه نال العطاء و إذا قصر ترك للفقر أو غيب في السجن.

فحسن البيان يرى الظلماء كالنور كما قال ابن الرومي :

في زخـــــــــرف القول ترويج لباطله و الحق قـــد يعتريه ســـــــــوء تدبير

تقول هـــــــذا مجاج النحل تمدحـه و إذا ذممت فقـــــــل قيء الزنانيـــــــر

مدحا و ذما و ما جاوزت وصفها حســـــن البيان يرى الظلماء كالنـــور [5]

و في هذا الباب يقول أبو نواس :

يا قمرا أبصـــــــرت في مـــــأتم يندب شـــــــجوا بيـــــــن أتراب

يبكي قيذري الدر من نرجس و يلطـــــــــم الورد بعنـــــــــاب [1]

---

[1] نفسه:مجلد1 جزء1ص399

[2] عصفور جابر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ص 353 .

[3] موسى أحمد ابراهيم: الصبغ البديعي ص 484 .

[4] مومني قاسم : نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ص 317 .

[5] نفسه ص 318 .

فصورة المرأة التي تبكي في مأتم لا يمكن أن تكون جميلة لكن أبا نواس بهذا الوصف الجميل المبالغ فيه أبدع صورة في غاية الروعة حتى أنه وصف بأشعر الجن و الإنس بسببها. [2]

و قد أكد الدكتور الأخضر عيكوس على أهمية الغلو في الصورة حين قال : " ... تصبح الصورة البديعية صورة شعرية معبرة و منيرة لا سيما إذا انتهجت نهج الغلو و الإغراق و اعتمدت المبالغة و الإفراط " [3]

كما وصف الغلو بالرقي في بحث آخر له حيث قال : " و لعل من أنواع الصور البديعية و أرقاها غلا التي تقوم على عنصر المبالغة و يعتمد فيها الشاعر الإيغال و الغلو ، فيغرق في تشبيهاته و يفرط في معانيه حتى يبلغ حد المستحيل " [4]

و رغم أن المتلقي يعي أن هذا الوصف مستحيل الوقوع إلا أنه يعجب به كما في قول ابن هانئ الأندلسي :

شارفت أعنان السماء بهمتي و وطئت بهرام النجوم بأخمصي [5]

إذا تم النظر لهذا البيت من زاوية العقل لكان غلوا و إفراطا مستحيل الوقوع ، لكن إذا تم النظر إليه كصورة شعرية أراد ابن هانئ من خلالها أن يبلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه في وصف مجده ، فهمته شارفت أعنان السماء و ما لا يصيب الأرض من باطن القدم وطئ به المريخ. وهذه الجزئية الأخيرة هي التي زادت الصورة غلوا فهو لم يضع قدمه كباقي البشر على المريخ ، بل وضع أخمصها الذي لا يصيب الأرض أبدا حتى على الكوكب الذي يسير عليه كل الناس ، و هنا تكمن المفاجأة و الجدة ، فلو استخدم أوصافا عادية لما كان لصورته وقع أو معنى فالارتباط غير المتوقع " لا يمكن انتقاده في الشعر ، بل ربما كان هو المطلوب المحبوب ، رغم أن الحقيقة الواقعة لا تقبله ، ذلك أن هذا الارتباط يكون دائما شيئا جديدا يحمل الإثارة ، .... على أن هذه العلاقات الجديدة التي تكتشف دائما لا يتوصل إليها الشاعر أو الفنان بطريقة منطقية مستأنية يقبلها العقل و يرتاح لها من حيث هي نسق من النظام الطبيعي ، بل تحصل هذه العلاقات في النفس دفعة واحدة " [6]

كثيرا ما كان الغلو مصدر الإثارة و الجمال في الصورة الشعرية بما يمنحه من غرابة و غموض و لجدة ما يعرضه كقول أبي نواس واصفا الخمر :

ســـــــــلاف دن إذا ما الماء خالطـــــها فاحـــــــــت كما فاح تفاح بلبنـــــــــــان

كالمسك إن بزلت و السبك إن سكبت تحكي إذا مـــــزجت إكليل مرجـــــان

صهبـــــــاء صافية عذراء ناصعـــــــة للسقـــم دافعة ، من كـــــرم دهقـــــــان

كرم تـــــــخال على قضبـــــــــان نخلته يـــــــــوم القطاف له هامات حبشـــــان

---

[1] موسى أحمد ابراهيم: الصيغ البديعي ص 72 .

[2] نفسه ص 72 .

[3] عيكوس الأخضر : مفهوم الصورة الشعرية حديثا ، مجلة الآداب ، العدد 03 – جامعة قسنطينة – 1996ص 155 .

[4] الأخضر عيكوس : مفهوم الصورة الشعرية قديما مجلة الآداب،العدد2 –جامعة قسنطينة-1995 ص 94 .

[5] ابن هانئالأندلسي: الديوان– دار صادر دون تاريخ ص 180 .

[6] إسماعيل عز الدين : التفسير النفسي للأدب ص 70 .

لم تدن منها يد من يـــــــــــــوم قطفتهـا و لم تعذب بتـــــــــــدخين و نـــــــــيران [1]

تبدو هذه الخمرة التي وصفها أبو نواس خيالية ، فكل صفات الحسن اجتمعت لها ، فهي عندما تمزج بالماء تكون لها رائحة التفاح ، و إذا ثقب إناؤها كانت كالمسك ، أما عند سكبها فهي ذهب خالص ، و إذا مزجت بالماء كانت كالمرجان ، كما اجتمعت لهذه الخمرة كل صفات الصفاء و البياض و هي لم تشرب من قبل كما أنها تمنع الأمراض أما كرمها الذي عصرت منه فهو عجمي ، شديد السواد كرؤوس الأحباش و قد تخمرت بعيدا عن النار و الشمس و أيدي اللامسين ، و في نفس السياق قال أبو نواس واصفا الخمر :

يا خاطب القهـوة الصهبـاء يمهرهـــا بالرطل يأخـــــذ منها ملأه ذهبا
قصرت بالراح : فاحذر أن تسمّعهـا فيحلف الكرم أن لا يحمل العنبـا
إني بـــــذلت لها لما بصـــــرت بها صاعا من الدر و الياقوت ما ثقبا
فاستوحشت و بكت في الدن قائلة يا أم ويــحك أخشي النار و اللهبا
فقلت : " لا تحذريه عندنا أبدا " قالت : " و لا الشمس " ، قلت : " الحرق ذهبا " [2]

يحاور أبو نواس الخمر و كأنها تعقل ، فتتمنع و تطلب ما بدا لها و البيت الثاني يحمل صورة جميلة ، فالكرم إذا عرف أن الخمر لا تأخذ مكانتها اللائقة قد يحلف ألا يحمل عنبا ، و هذا إفراط بديع ، فالشجر لا يسمع و لا يحلف و لا ينتج بإرادته ، كما يغلو أبو نواس أيضا في الثمن الذي بذله للخمر " صاع من الدر و الياقوت " ، و رغم ذلك اشترطت الخمر أشياء أخرى و طلبتها من الدن الذي اعتبره مالها ، فهي لا تريد أن تعرض لا للنار و لا للشمس ، و كل هذا مما لا يمكن وقوعه لا عقلا و لا عادة ، بل خيال أبي نواس و شغفه الشديد بالخمر جعلاه ينظم هذه الصور التي قال عنها طه حسين : " ثم هذا الكلام الكثير في أن الخمر لا تطبخ على النار و لم ترها الشمس و إنما عتقت و تخمرت في جوف الأرض بمعزل عن حر الشمس و النار ، و قد نقرأ الشعر الذي يتناول هذه المعاني فنعجب به لأن لفظه جيد ، أو لأن فيه مغالاة تدهشنا و تخالف ما ألفنا أو لأن فيه شيئا من الإحالة و البعد عن معقول الناس " [3]

ليس طه حسين الوحيد بين النقاد الذي يعجبه البعد عن المعقول و الغرابة ، فسمير أبو حمدان صاحب كتاب الإبلاغية في البلاغة العربية يؤكد على نفس الفكرة ناقلا قولا لأندريه بروتون : " إن تغريب شيء من شيء آخر و المقارنة بينهما بشكل مباغت و فجائي ، رغم ما قد يكون بينهما من تباعد ، له من الأشياء الآسرة و الأخاذة ، إنه بكلمة أخرى من أسمى المهام التي ينهد إليها الشعر " [4]

لابن هانئ الأندلسي أبيات يمدح بها أبا الفرج محمد بن عمر الشيباني يقول فيها :

---

[1] أبو نواس(الحسن ابن هاني): الديوان تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي – بيروت – دون تاريخ ص 133 .

[2] الديوان: ص 91 .

[3] حسين طه : حديث الأربعاء ص 85 .

[4] أبو حمدان سمير: الإبلاغية في البلاغة العربية ، منشورات عويدات الدولية – بيروت - باريس 1991 ، ط 1 ، ص 43 .

حلفت بالسابغات البيض و التليب و بالأسنـــــــــــة و الهندية القضب
لأنت ذا الجيـــــش ثم الجيش نافلة و ما ســـــواكم فلغو غير محتسب
و لو ثنيت إلى أرض الشـــــــام يـدا ألقت إليك بأيـــدي الذل من كثب [1]

الممدوح حسب تصوير ابن هانئ بطل أسطوري من العصور القديمة ، يملك قدرات خارقة تفوق بني البشر فهو بمثابة جيش كامل ، بل باقي الجند مجرد لغو لا يمكن احتسابهم ، و مصر تكفيها إشارة صغيرة من سوطه لتكون طوع بنانه ، لا يحتاج في ذلك إلى قوة الخيل و لا السلاح ، و الشام أيضا تكون بين يديه بمجرد ثني يديه ، و في الشطر الأخير استعارة جميلة تصور مدى قوة الممدوح ، فكل ما أراده قد دان إليه دون أدنى مقاومة أو جهد منه.

لا أتصور أن ابن هانئ كان يمكنه الوصول إلى هذه الصورة دون غلو لأن شعره عندها سيكون مجرد اجترار لصور معروفة كالتشبيه بالأسد أو وصف كثرة القتل أو كثرة التركيز على كثرة الأعداء و شجاعتهم ، ابن هانئ استغنى عن كل ذلك و ركز على قدرات الممدوح الخارقة ، فكل شيء طوع بنانه دون قتال و هذا ما لا يمكن وقوعه ، لكن المبالغة و الشعر عموما لا يخضع للعقل كما يؤكد ذلك الدكتور عيكوس : " و الحقيقة أن المبالغة باعتبارها أسلوبا تعبيريا تخيليا لا ينبغي بأية حال أن نخضعها لأساليب التعبير العقلي المنطقي ، و إنما هذا التهويل الذي من شأنه أن يستبد بمخيلة السامع و يثير انفعاله هو ما تنشده بالضبط في كل صورة شعرية أصيلة " [2]

يؤكد أحمد مطلوب على نفس الفكرة عدم خضوع الشعر للعقل مستشهدا بشعر أبي نواس حين يقول :

فلما شـــــربناها و دب دبيبـــــها إلى موضع الأسرار قلت لها قفي
مخافة أن يســـــطو علي شعاعهـــا فيطلع ندمائي على ســري الخفــي [3]

و حين يقول :

و أخفت أهل الشرك حتى إنـــــــه لتخافك النطــف التي لم تخلـــــــق [4]

" و لعل بيته في الخمر أقرب من البيت الثالث و هما رائعان و إن كان العقل لا يقبل وقوع مثل ذلك و لكن الشعر لا يقاس دائما بالعقل أو بما يمكن أن يقع ، فقد يكون للخيال النصيب الأوفى في روعته و جماله كما في بيتي أبي نواس " [5]

قال المتنبي مادحا و راجيا سيف الدولة الحمداني :

إني دعوتك للنـــــوائب دعوة لم يدع سامعـــــــها إلى أكفائه
فأتيت من فوق الزمان و تحتــه متصلصلا و أمامـــــه و ورائـه [6]

---

[1] الديوان ص 54 .
[2] عيكوس الأخضر:الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية دراسة بلاغية نقدية رسالة ماجستير-جامعة قسنطينة ص 218 .
[3] مطلوب أحمد : فنون بلاغية – البيان والبديع – دار البحوث العلمية ط 1 الكويت 1395 هـ - 1975 م ، ص 285 .
[4] نفسه ص 285 .
[5] نفسه ص 285 .
[6] ديوان المتنبي : المجلد 1 الجزء 1 ص 133 .

تقترب صورة سيف الدولة في هذين البيتين من صورة ممدوح بن هانئ السابق مع مبالغة المتنبي المطلقة فهو دعا سيف ليدفع عنه الشدائد رغم أنه فوقها و أقوى منها و ليست كفؤا له ، فأجابه إلى طلبه و أتى من كل زمان و من اللازمان ، فهو فوقه و تحته ، و أمامه و وراءه ، لابسا سلاحه ، فأحاط بالمتنبي حائلا بينهما.
هذه الصورة قريبة أيضا من قول أبي نواس مادحا :

تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري و ليس يراني [1]

فالممدوح هنا أيضا أحاط بأبي نواس و حماه من الدهر لدرجة أنه لا يستطيع أن يراه في حين أن أبا نواس ينظر إليه و هذا منتهى الغلو و منتهى الشاعرية – إن صح التعبير – ففوق هذه الحماية لا يوجد ، و فوق هذا الغلو ربما لا يوجد أيضا ، فالدهر في الموروث الشعري العربي يعادل الآلام و الأمراض و الهرم و الموت أو ببساطة سبب كل المساوئ و لا يمكن أبدا أبدا الهروب منه ، أو الوقوف في وجهه. لكن محاربة اللامريء و الانتصار عليه هو ما أعطى هذه الصور شاعريتها لينفعل معها المتلقي. و هذا ما أكده السلجماسي حيث تحدث عن الصور المثيرة " و بالجملة تنفعل له النفس انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان القول مصدقا به أو غير مصدق به ، فإما كونه مصدقا به غير كونه مخيلا أو غير مخيل ، إذا كانت القضية الشعرية إنما تؤخذ من حيث هي مخيلة فقط دون نظر إلى صدقها أو عدم صدقها " [2]

أكد نقاد آخرون أيضا نفس الفكرة ، أي عدم ضرورة الصدق في العمل الشعري كأبي هلال العسكري الذي قال : " و أكثره – يعني الشعر – قد بني على الكذب و الاستحالة من الصفات الممتنعة و النعوت الخارجة عن العادات والألفاظ الكاذبة من قذف المحصنات ، وشهادة الزور و قول البهتان ، لا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر و أفضله ، و ليس يراد منه إلا حسن اللفظ و جودة المعنى ، هذا هو الذي سوغ استعمال الكذب و غيره مما جرى ذكره فيه ، و قيل لبعض الفلاسفة فلان يكذب في شعره ، فقال : " يراد من الشاعر حسن الكلام ، والصدق يراد من الأنبياء " [3]

و هذا ما أكده قدامة بن جعفر حين قال : " ... إذ أن الشاعر لا يوصف بأن يكون صادقا، إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني - أيا كان ذلك المعنى – أن يجيده في وقته الحاضر و حسب لا أن يطالب بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر " [4]

في هذه الفقرة لقدامة ثلاثة أفكار مهمة تستحق الإشارة إليها :
الأولى : أن صفة الصدق لا تطلق على الشاعر وليس هو المطلوب منه.
الثانية : أن مجال المعاني غير محدود أمام الشاعر ، بل يمكنه الخوض في كل ما أراد.
الثالثة : أن الشعر محدود في زمنه ، فليس المطلوب من الشاعر أن يبقى ثابتا على نفس الأقوال لا يحيد عنها كما كان للشعراء رأيهم في هذه المسألة ، فهذا ابن خفاجة يؤكد ذلك قائلا : " ... و لا يعلمون مع ذلك أنه يستجاز في صناعة الشعر لا في صناعة النثر أن يقول القائل فيه : " إني فعلت " و " إني صنعت " من غير أن يكون وراء ذلك حقيقة ، فإن

---

[1] الديوان:ص469
[2] السجلماسي أبو القاسم : المنزع البديع ص 219 – 220 .
[3] العسكري : الصناعتين ص 136 – 137 .
[4] ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 23 .

الشعر مأخذ و طريقة و إذا كان القصد فيه التخييل فليس القصد فيه الصدق و لا يعاب فيه الكذب و لكل مقام مقال " [1]

ليس المطلوب من الشاعر أن يصور الواقع الخارجي كما هو دون أدنى تغيير ، بل المطلوب منه أن يصوره كما يحسه و يراه بعين الشاعر و إلا كان مجرد مصور فوتوغرافي أو مؤرخ أو غيرها ... المهم أنه لن يكون شاعرا أبدا ، فالمتنبي مثلا حين قال مادحا كافور :

تفضح الشمس كلما ذرت الشمـ س بشمـــــــــس منيرة ســـــــــوداء [2]

كافور كما هو معلوم عبد أسود و الشمس لا تكون سوداء أبدا و ليس في الكون ما هو أشد نورا من الشمس ، لكن المتنبي أعاد صياغة الواقع بعين الشاعر و مدح كافورا بما كان يعاب به " ، لقد أراد المتنبي شمسا حقيقية ، شمسا خاصة به ، شمسا سوداء لا تنطوي على صفة تجريدية من صفات الشمس البيضاء أو الحمراء ، لقد اقتبس شارح الديوان عبارة للواحدي تقول : إنه في سواده مشرق ، فهو بإشراقه في سواده يفضح الشمس ، و الواحدي بهذا يقترب من حافة الاعتراف بخصوصية التعبير الشعري و حرية المجاز و حقه في تقصير المعنى من الأضداد و مشروعية الأغراب و المفاجأة و مشاركتها في توليد المتعة و تحرير الخيال استمرارا لتحرير المعجم و رفض عبودية العلاقة بين الألفاظ" [3]

رغم كل ما قيل عن تملق المتنبي في مدح كافور و نفاقه لكنه في تلك اللحظات كان صادقا في مدحه – خاصة في الأبيات التي لا تحمل المعنيين المدح و الهجاء – خصوصا إذا تم التغاضي عن السياق العام للقصيدة و حياة المتنبي الشخصية و تم النظر إلى تلك الأبيات كصور شعرية ، ففي قوله مثلا بعد البيت السابق مباشرة :

إن في ثوبك الذي المجـــــد فيه لعنياء يزري بكـــــل ضيـــــاء
إنما الجلد ملبس و ابيضاض النـ فس خير من ابيضـــــــاض القباء
كرم في شجـــــــــاعة و ذكاء في بهاء و قـــــــدرة في وفـــــاء
من لبيض الملوك أن تبـــدل اللو ن بلون الأســـــــتاذ و السحنـــاء
فتراها بنو الـــــــــحروب بأعيـا ن تـــــراه بها غـــــــــداة اللقاء [4]

مدح لسواد اللون ، رغم أنه يؤكد أنه غير مهم فالمهم أنه نقي السريرة ، صاحب مجد ، أبيض النفس ، حتى أن الملوك يتمنون سواد لونه ، فهو مخيف أكثر للأعداء ساعة الحرب لكن عندما تسوء الأحوال بينهما ، يهجو المتنبي كافورا بما مدحه به :

لا تشتر العبد إلا و العصتـا معــه إن العبيـــــد لأنـــــجاس مناكيـــد
ما كنت أحسبني أحيـــا إلى زمن يسيء بي فيه كلب و هو محمـــــود
و لا توهمت أن الناس قد فقـــدوا و أن مثل أبي البيـــضاء موجـــود
و أن ذا الأســـود المثقوب مشفره تطيعه ذي العضاريـــط الرعاديـــد
جوعان يأكل من زادي و يمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصـــــود

....

---

[1] ابن خفاجة : الديوان تحقيق السيد مصطفى غازي ، منشأة المعارف الإسكندرية 1960 ، ص 10-11 .

[2] الديوان : مجلد 1 الجزء 1 ص 158 .

[3] عبد الله محمد حسين: الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف ، القاهرة مكتبة الدراسات الأدبية - دون تاريخ ص 129 .

[4] الديوان : مجلد 1 الجزء 1 ص 158 – 159 .

من علّم الأسود المخصي مكرمـــة أقومـــه البيـــض أم آباؤه الصيـــد [1]

فكافور هنا شخص آخر مجرد عبد نجس يستحق الضرب بالعصا و يتبرم من اضطراره لمدحه ، و الكرام مفقودون لأن عبدا أسود يحكم مصر ، و كناه بأبي البيضاء نكاية به و سخرية منه ، و هو لم يعلم بوجوده إلا عندما جلس على العرش و حوله أنذال يطيعونه و لا يثورون عليه ، و هو فوق كل ذلك بخيل لم يكرم المتنبي و لم يكافئه على مدحه رغم أنه مجرد عبد أسود لا مكارم له و لا مجد ورثه عن آبائه.

يبدو التناقض صارخا بين المعنيين مدحا و هجاء ، لكن لا يمكن وصف المتنبي بالكذب في أي منهما ، فمدحا هو قد أجاد و وجد الأعذار و أحسن التعليل ، و هجاء هو قد أوجع و أصاب فلكل مقام مقال كما قال ابن خفاجة سابقا. و لا يطالب الشاعر بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر كما أكد قدامة. فالمهم مراعاة حالة الشاعر؛ حالة الشاعر النفسية و الهدف الذي أراد الوصول أليه من خلال شعره لأن " فهمنا لطبيعة الغلو ستأخذ مجرى أخر ، إذ أننا سنجد أنفسنا مجبرين على ربط الصورة بالموقف النفسي للشاعر الذي علينا أن نشاركه إحساسه بعواطفنا لا أن نناقشه بعقولنا ، و الغلو بعد هذا أسلوب فني ينبغي أن يكون منبعثا من وجدان حي ، صادرا عن خيال شعري خلاق ، و نابعا من انفعال فياض ، و إلا كان ضربا من التهويل الكاذب الذي لا يمكن أن ينفذ إلى نفوسنا ، و تكذبه عقولنا ، و من هنا فإنه ينبغي أن ننظر إلى الغلو نظرتنا إلى بقية أنواع البديع ، أي أن نشرط توفر العفوية فيها و نشترط ارتباطها بالتجربة الشعورية أو النفسية التي يحياها الشاعر " [2]

فإذا كانت التجربة عنيفة مؤثرة فلا بد أن تكون الصورة مشحونة بكل تلك الانفعالات ، ففي هجاء المتنبي السابق لكافور مثلا كانت صوره مبالغا فيها ، و هذا بسبب إحساسه بالمرارة و خيبة أمله في كافور ، فهو بعد أن كان في حمى سيف الدولة بطلا حقيقيا حارب الروم و هزمهم و أميرا يستحق فعلا المدح ، اضطر للعيش في جوار كافور مجرد عبد ، أصبح بقدرة قادر ملكا لمصر ، و مع كل هذا لم ينل منه مراده فكان لا بد أن يكون هجاؤه مقذعا مؤلما.

نقل المرزباني في موشحه استشناع إسحاق الموصلي لقول قيس بن الخطيم :

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نقد لولا الشعـــــــــاع أضاءها
ملكت بها كفي فأنتـــــهرت فتقها يرى قائـــــــم من خلفها ما وراءها

حتى إذا سمع قوله أيضا :

ضربته في الملتقى ضـــــــربة فزال عن منكبه الكاهـــــل
فصار ما بينهما فجـــــــوة يمشي بها الرامـــــح و النابل

فزاد استنكاره [3] فكأنه كان ينتظر منه رواية لأحداث المعركة كما وقعت تماما ، و كـأنه يراها أمامه لا كما أحسها ابن الخطيم ، صحيح أن وصفه لا يمكن أن يقع لكن " الخيال يستطيع أن يتصور القولين إذا فصلهما عن المقول فيه و اعتبرهما من الممكن وقوعهما في

---

[1] الديوان : مجلد 1 جزء 2 ص 144 – 147 .
[2] عيكوس الأخضر: الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية ص 223 .
[3] المرزباني : الموشح ص 116 .

شكل ما في مكان ما لشخص ما و أنهما ليسا خبرا عن المعركة بقدر ما هما تصوير للمعركة، فالكاهل في الصورة الثانية قد انفصل عن المنكب أو هكذا خيل للشاعر و انفصل مبتعدا في قوة تاركا مساحة تسمح للرامح و النابل أن يمرا بينهما أو هكذا خيل للشاعر ، خيل إليه هذا ليرضي نفسه ، هذه النفس المجروحة من قاتلي أبيه و جده ، فلو تصورنا أن قيس بن الخطيم يقول تمنيت أن أفعل و أن يكون فعلي لصورة كذا و كذا نجد أن المبالغة هنا كانت صادقة جدا في ترجمة الحقد الدفين و الكمد المكتوم و النار التي تستعر في قلب قيس و من ثم فلا كذب و لا شناعة " [1] و كان لا بد أن تكون أوصافه مبالغا فيها فطعنه طعنة ثائر كما وصفها و لو وصف نزالا عاديا كبقية الشعراء لما حفظت كتب الأدب شعره ، و لما كان يحسه من ألم جراء قتل أبيه وجده قوله كان من الشعر الذي قال عنه سمير أبو حمدان " ... إنها الصيغ التي تجنح إلى المبالغة و الإنفعال لا لشيء إلا لأنها قررت أن تحفر في دخائلنا ندوبا لا تمحى ، فمطلبها الأساس أن تقتحم النفوس بما تمتلك من عدة نفسية ، و الهدف إحداث الخضة المرجوة و المطلوبة " [2] فالصيغ الشعرية تصبح مع التكرار مستهلكة لا تشد السمع و لا تثير الانفعال المطلوب ، فلا بد من التغيير الدائم ، ليظل الشغف موجودا لدى المتلقي و إن كان غلو قيس بن الخطيم و المتنبي ليس هدفه الأول التغيير و إنما جاء نتيجة الانفعال الشديد ، لكن مع ذلك فالتغيير دائما مطلوب.

قال المتنبي مادحا سيف الدولة :

إن كان قـــــد ملك القلوب فإنه ملك الزمان بأرضـــــــــه و سمائه
الشمس من حساده و النصر من قرنائـــــــــــه و السيف من أسمائه
أين الثلاثـــــــة من ثلاث خلالــه من حسنـــــه و إبـــــائه و مضائه
مضت الدهـــــور و ما أتين بمثلــه و لقد أتى فعجـــــــزن عن نظرائه [3]

لا يتعجب المتنبي هنا من سيف الدولة عندما أحبه الناس و ملك قلوبهم ، فهو قبل ذلك قد ملك الزمان و المكان يصرف الكائنات كما شاء ، كما ملك السماء بأفلاكها فكانت المقادير في يده السعد له و النحس لأعدائه فأينما توجه فهو المنتصر حتى أن الشمس تحسده على ذلك ، و لا عجب في هذا أيضا فاسمه سيف و مع ذلك فهو فوق كل هذا أشد إباء من النصر، أحس من الشمس ، أمضى من السيف و لم يوجد له أبدا نظير فيما مضى من الزمان و لا فيما هو آت فكان فردا واحدا في الخليقة.

الأبيات تحمل شحنة انفعالية رغم الغلو فيها لكن المتنبي كان مضطرا للتغيير ، فلا يمكن أن يكرر الصور ذاتها بالكلمات ذاتها فإذا كان النابغة قديما قد مدح قائلا :

فإنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب[4]

فلا بد أن يكون ممدوح المتنبي أعظم من الشمس ، و إلا لما نال إعجابه و رضاه ، فلا بد من التغيير ... " و كل ندرة إلى شيوع و انتشار و صحيح ما يقوله سلوفسكي : إن الناس الذين يعيشون على الشاطئ سرعان ما يتعودون على هدير الأمواج حتى أنهم لا يحسون بها و لا يسمعونها عادة ... و هذا كله واقع بالنسبة لمفردات اللغة و تراكيبها و منه تبدأ

---

[1] سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ص 125 .
[2] أبو حمدان سمير: الإبلاغية في البلاغة العربية ص 38 .
[3] الديوان : مجلد 1 جزء 1 ص 137 .
[4] الديوان:ص56

وظيفة اللغة الفنية وتتأكد أهمية المجاز الذي يزيل الرتابة عن الأشياء و يكشف عن علاقات جديدة بين عناصر الوجود تقدم لنا عالمنا هذا القديم و نفوسنا هذه التي تلابسنا بشكل جديد مدهش يحرك الفكر و يثير التأمل و ينشط الشعور بالغضارة و البكارة ، و يعيد الكائن البشري إلى مكانه من العالم و صلته العميقة بكل مظاهره و ظواهره ".[1]

[1] عبد الله،محمد حسن:الصورة و البناء الشعري ص 121 -122

ثانيا : المتنبي

قافية الهمزة

إنى دعوتك للنوائب دعـــــوة ... لم يدع سامعها إلى أكفائــه
فأتيت من فوق الزمان و تحتـه ... متصلصلا و أمامه وورائـه
إن كان قد ملك القلوب فإنـــــه ... ملك الزمان بأرضه و سمائـــه
الشمس من حساده والنصر مـن ... قرنائه و السيف من أسمائـــــه
أين الثلاثة من ثلاث خلالـــــــه ... من حسنه و إبائـه و مضائـــه
مضت الدهور و ما أتين بمثلـــه ... و لقد أتى فعجزن عن نظرائـه
أأنطق فيك هجرا بعد علمـــي ... بأنك خير من تحت السمـــاء
و أكره من ذباب السيف طعمـا ... و أمضي في الأمور من القضاء
و ما أربت على العشرين سنـــي ... فكيف مللت من طول البقـــاء
و ما استغرقت وصفك في مديحي ... فأنقص منه شيئا بالهجـــــاء
و هبني قلت هذا الصبـح ليـــل ... أيعمى العالمون عن الضيـــاء
و إن مـن العجـــائب أن تراني ... فتعدل بي أقـل من الهبـــاء
و تنكر موتـهـم و أنـا سهيـل ... طلعت بـموت أولاد الزنـــاء
أسفى على أسفى الذي دلهتنـي ... عن علمه فبـه على خفـــاء
وشكيتي فقد السقـام لأنـــــه ... قد كـان لما كان لي أعضـــاء
أنا صخرة الوادي إذا ما زوحمت ... وإذا نطقت فإنني الجـــوزاء
و إذا خفيت على الغبى فعـاذر ... أن لا تراني مقلة عميـــاء
و لجدت حتى كدت تبخل حائلا ... للمنتهى و من السرور بكـاء
ولك الزمان من الزمان وقايـــة ... ولك الحمام من الحمام فـداء
لو لم تكن من ذا الورى اللذمنك هو ... عقمت بمولد تسلها حـــواء
إنمـــا التهنئـــات للأكفـــاء ... و لمن يدنـــي من البعـــداء
و أنا منك لا يهنـــئ عضـــو ... بالمسرات سائر الأعضـــاء
فارم بي مـــا أردت مني فإنـــي ... أسد القلب آدمي الـــرواء
و فؤادي من الملوك و إن كـــا ... ن لساني يرى من الشعـــراء
لقد نسبوا الخيـــام إلى عـــلاء ... أبيت قبوله كـــل الإبـــاء
و ما سلمت فوقـــك للثريـــا ... ولا سلمت فوقك للسمـــاء
و قد أوحشت أرض الشام حتى ... سلبت ربوعها ثوب البهـــاء
تنفس و العواصم منك عشـــر ... فتعرف طيب ذلك في الهواء

قافية الباء

و أنك رعت الدهر فيها وريبـــه ... فإن شك فليحدث بساحتها خطبا
فيوما بخيل تطرد الروم عنهـــم ... و يوما بجود يطرد الفقر و الجدبـــا

أيدري ما أرابك من يريـــب ... و هل ترقى إليه الفلك الخطوب
و جسمك فوق همـة كـل داء ... فقرب أقلهـا منه عجيـــب

يجمشك الزمان هوى و حبـــا و قد يؤذى من المقة الحبيـــب
وكيف تعلك الدنيا بشـــــيء و أنت لعلـــة الدنيـــا طبيـــب

و تملك أنفس الثقلين طـــــرا فكيف تحوز أنفسها كـــــلاب
طلبتهم على الأمواه حتـــــى تخوف أن تفتشه السحـــــاب

فليت طالعة الشمسين غائبـة و ليت غائبة الشمسين لم تغب
و ليت عين التي آب النهار بها فداء عين التي زالت و لم تـؤب
واكرم الناس لا مستثنيا أحدا من الكرام سوى آبائك النجب

ألا إنما كانت وفـاة محمـــــــد لنجل على أن ليس لله غالـب

إن المنية لو لاقتهم وقفـــــــت خرقاء تتهم الإقدام و الهـــربا
مراتب صعدت و الفكر يتبعهـا فجاز و هو على آثارها الشهبا

أذاقني زمني بلوى شرقت بهـــا لو ذاقها لبكى ما عاش و انتحبا
و إن عمرت جعلت الحرب والدة و السمهري أخا و المشرفي أبـــا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسمـا حتى كأن له في قتلـــه أربـــــا
قح يكاد صهيل الخيل يقذفـــــه عن سرجه مرحا بالغزو أو طربا

فالموت أعذر لي و الصبر أجمل بي و البر أوسع و الدنيا لمن غلبـــا

كيف الرجاء من الخطوب تخلصـــا من بعد ما أنشبن في مخالبنـــــا

و أحدنني ووجدن حزنا واحـــدا متناهيا فجعلنه لي صاحبـــــا
ونصبنني غرض الرماة تصيبـــــني محن أحد من السيوف مضاربا
أظمتني الدنيا فلمـــا جئتمـــــــا مستسقيا مطرت على مصائبـا
وحبيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت أمشي راكبا

و قد لبست دماءهم عليهـــــم حـــدادا لم تشق لها جيوبـــــا
أدمنا طعنهم و القتـــل حتـــــى خلطنا في عظامهم الكعوبـــــا

كأن الفجـــر حـــب مستـــــزار يراعي من دجنتـــــه رقيبـــا
و هل يخطي بأسهمه الرمايـــــا وما يخطي بما ظن الغيوبـــــا
فلا زالـت ديـــارك مشرقـــات و لا دانيت يا شمس الغروبـا
لأصبح آمنا فيـــــك الرزايـــا كما أنا آمن فيـــك العيوبـــا

وأحسب أنى لو هويت فراقكم لفارقته و الدهر أخبث صاحب

و لا بد من يوم أغر محجـــــــل يطول استماعي بعده للنـــــوادب
يهون على مثلى إذا رام حاجـــة وقوع العوالي دونها و القواضـب
إلى لعمري قصد كل عجيبـــــة كأني عجيب في عيون العجائب
حتى أصاب من الدنيا نهايتهـــا وهمه في ابتداءات و تشبيـــب
إذا انتها الرياح النكب من بلـــد فما تهب بهـــا إلا بترتيـــب
ولا تجاوزها شمس إذا شرقـت إلا ومنه لها إذن بتغريـــــب

لحا الله ذي الدنيا مناخا لراكب فكل بعيد الهم فيها معـــذب
ألا ليت شعري هل أقول قصيدة فلا أشتكي فيها و لا أتعتب
و بي ما يذود الشعر عني أقلـــه و لكن قلبي يا ابنة القوم قلب
إذا ضربت في الحرب بالسيـف كفه تبينت أن السيف بالكف يضرب
تزيد عطاياه على اللبـــث كثـــــرة و تلبث أمواه السحاب فتنضـــب
أبا المسك هل في الكأس فضل أناله فإني أغني منذ حين و تشـــــرب
و هبت على مقدار كفى زماننـــــا ونفسي على مقدار كفيك تطلب
ثنائهم و برق البيض في البيض صادق عليهم و برق البيض في البيض خلب
إذا قلتـــــه لم يمتنـــــــع من وصولـــــه جدار معلى أو خبـــــاء مطنـــب

و إني لنجمة تهتـــــدي بي صحبـــتي إذ حال من دون النجـوم سحـــاب
غني عن الأوطـــــان لا يستفزنـــــي إلى بلـــد سافـــــرت عنه إيـــــاب
و يا آخذا من دهره حـــق نفســـــه و مثلك يعطـــى حقـــــه و يهـــاب

قافية التاء

يضع السنـــان بحيث شاء مجـــــاولا حتـــــــى من الآذان في أخراتهـــــا

غلت الذي حسب المشـــور بآيـــــة ترتيلـــك الســـــورات من آياتـهـــــا

قافية الدال

أهم بشيء و الليـــــالي كأنـــــها تطاردني عن كونه وأطـــــــارد
نهبت من العمار ما لو حويتـــــه لهنئت الدنيـــــا بأنك خالـــــد
فأنت حسام الملك و الله ضارب وأنت لواء الدين و الله عاقـــــد

ولكن تفوق الناس رأيا وحكمـة كما فقتهم حالا و نفسا و محتدا
وما الدهر إلا من رواة قلائـــدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمـــــرا وغني به من لا يغنـــــى معـــــردا
أجزني إذا أنشدت شعرا فإنمـــا بشعري أتاك المادحـــــون مـــــرددا
ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصـدى
إذا سأل الإنسان أيامه الغنـــــى وكنت على بعد جعلنك مـــــوعدا

أشد عصف الرياح يسبقـــــــــه تحـــــــتي منخطـــوها تأيدهـــــــــا
في مثل ظهر المجـــــن متصـــــــل بمثـــــل بطـــــــن المجن قرددهـــــا

تنقدح النـــــار من مضاربهـــــــا وصب ماء الرفـــــاب يخمدهـــــا

يترشفن من فمي رشفـــــــــات هن فيه أحلـــــــى من التوحيـــــد
وبهم فخر كل منتطق الضـــــــا د وعوذ ألجاني وعـــــوث الطريـــد
إن أكن معجبا فعجب عجيب لم يجد فـــوق نفســـــه من مزيـــــد
أنا ترب الندى ورب القوافـــــي وسمام العدا وغيـــــظ الحســـــود

لو كنت عصرا منبتا زهـــــــرا كنت الربيع وكانـــت الـــــــوردا

من في الأنام من الكرام ولا تقـل من فيك شأم سوى شجاع يقصد
أعطى فقلت لجوده ما يقتنـــــي وسطا فقلت لسيفـه ما يولـــــــد
أسد دم الأسد الهزبر خضابـه موت فريض الموت منه ترعـــــد
قطعتهم حسدا أراهم ما بهم فتقطعوا حسدا لمن لا بحســـــد
حتى انثنوا و لو أن حر قلوبهم في قلب هاجرة لذاب الجلمـــــد
كن حيث شئت تسر إليك ركابنا فالأرض واحدة وأنت الأوحـــد
ريان لو قذف الـذي أسقيتـــــــه لجرى من المهجات بحر مزبـــــد
ما شاركته منيـــــة في مهجـــة إلا و شفرته على يدها يـــــد
من كل أكبر من جبال تهامـــــة قلبا ومن جود الغوادي أجـــود

أنى يكـون أبـــــا البـــــرية آدم و أبوك و الثقلان أنت محمـــــد
يفنى الكلام و لا يحيط بوصفكم أيحيـــط ما يفنى بما لا ينفـــد
يرون من الذعر صوت الريـــاح صهيل الجياد وخفق البنـــــود

فمن كالأمير ابن بنت الأمـــــير أو من كآبائـــــه والجـــــدود

لما وزنت بك الدنيا فملت بهـــا و بالورى قل عندي كثرة العدد
ماصى الجنان يريه الحزم قبل غد بقلبه ما ترى عيناه بعد غـــد

أحـاد أم ســـداس في أحـــاد ليبلتنـــــا المنوطـة بالتنـــاد
زعيم للقنا الخطى عزمـــــــى بسفك دم الحواضر والبـــوادي
وماتوا قبل موتهـــم فلمـــا منتت أعدتهم قبل المعـــاد
وكن كالموت لا يرثـــي لبـــاك بكى منه و يروى وهو صـــاد

أحلما نرى أم زمـانـا جديـــدا أم الخلق في شخص حي أعيدا

طلبا رضاه بتـــرك الـــذي رضينا له بخيل بأن لا يجـــود

أقل فعالي بلـة أكثـــــره مجـــــد وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد
و طعن كأن الطعن لا طعن عنـده و ضرب كأن النار من حرة برد
يكاد يصيب الشيء من قبل رميـه و يمكنه في سممه المرسـل الـــــرد
و ينفذه في العقد و هو مضيـــــق من الشعرة السوداء و الليل مسود
ألـــــوم بـــــه من لامنـــــي في وداده و حق بخير الخلق من خيره الـــــود
من خص بالذم الفـــراق فإننـــــي من لا يرى في الدهر شيئا يحمـــد
يرومون شأوى في الكلام و إنمـــــا يحاكي الفتى فيما خلا المنطق القرد
فهم في جموع لا يراها ابن دأبـــــة، وهم في ضجيجا لا يحس بها الخلد
ومني استفاد الناس كل غربيـــة ؛ فجازوا بترك الذم إن لم يكن حمـــد

ولكن قلبا بين جنبـــــي مالـــه مدى ينتهي بي في مراد أحده

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي شيئا تتيمـه عين ولا جيـــد
ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم إلا وفي يده من نتنهـــا عـــود

يقسم الفارس المدجج لا يسلـــم مـن شفرتيـــه إلا بـــــداده
هل لعذرى عند الهمام أبي الفضل قبول سـوداء عيني مـــداده
خلق الله أفصح النـــاس طـــرا في مكـــان أعرابه أكـــراده

ومن يصحب اسما بن العميد محمد يسر بين أنياب الأساود و الأسد
يمر من السم الوحـــي بعاجـــز ويعبر من أفواههمـــ عـــلى درد
رجونا الذي يرجون في كل جنـــة بأرجان حتى ما يئسنا من الخلد
يغير ألوان الليالي علـى العـــدى بمنشورة الرايات منصورة الجنـــد
إذا ارتقبوا صبحا رأوا قبل ضوئه كتائب لا يرد الصباح كما تـردي
ومبثوثـــة لا تتقـــــى بطليعـــة ولا يحتمى منها بغور ولا نجـــد

أأحزم ذي لب وأكرم ذي يـــــد وأشجع ذي قلب وأرحم ذي كبد
وأحسن معتم جلوسا وركبـــــة على المنبر العالي أو الفرس النهـد
تفضلت الأيـام بالجمـــع بيننـــا فلما حمدنا لم تدمنا على الحمـــد

إذا المنايا بـــدت فدعوتـهـــا أبدل نونا بدالـة الحائـــد
إذا درى الحصن من رماه بهـا خر لها في أساسه ساجـد
ما كانت الطرم في عجاجتهـا إلا بعيرا أضلـــه ناشـــد
تسأل أهل القلاع عن الملـــك قد مسخته نعامة شـــارد
تستوحش الأرض أن تقر بـــه فكلها منكـر له جاحـــد
إن كان لم يعمد الأميـر لمـــا لقيت منه فيمنـه عامـــد

شمس إذا الشمس لاقته على الفرس تردد النور فيها من تــرددهِ
نفس تصغر نفس الدهر من كــبـــــر لها نهى كهله في سن امرده

قافية الذال

أعجلت ألسنهـــم بضرب رقابهـــــم عن قولهم لا فـــارس إلا ذا
غر طلعت عليه طلعـــة عـــــارض مطر المنايا وابـــــلا ورذاذا

قافية الراء

وأراك دهرك ما تحاول في العـــــدى حتى كأن صروفـه أنصـــــار
أنت الذي يجح الزمـــــان بذكـــــره وتزينت بحديثـه الأســـــمار
وإذا تنكـــر فالفنـــــاء عقابـــــه وإذا عفا فعطاؤه الأعمـــــار

كأني عصـــــت مقلـــتي فيكـــــم وكاتمت القلب مـا تبصـــــر
فلا غفـــل الدهـــــر عن أهلـــــه فإنك عـين بهـــا ينظـــــر

فلو خلـــق الناس من دهرهـــــم لكانوا الظلام وكنت النهـــارا

الصوم والفطر و الأعياد و العصـــر منيرة بك حتى الشمس و القمر
ترى الأهلة وجهـــا عم نائلـــــه فما يخص به من دونـها البشـــر

ما الدهر عندك إلا روضة انـف يا من شمائله في دهـــره زهـــــر
ما ينتهي لك في أيامـــــه كـــــرم فلا انتهى لك في أعوامه عمـــــر
فغن حظك من تكرارها شـرف وحظ غيرك منها الشيب والكبر
تشبيه جودك بالأمطار غاديـــــة جود لكفك ثان نالـــه المطـــر
تكسب الشمس منك النور طالعة كما تكسب منها نـــوره القمـــــر

تثير علـــــى سلميـــة مسبطـــرا تناكر نحتـــه لـــــولا الشعـــــار
عجاجا تعثر العقبـــــان فيـــــه كأن الجـــــو وعث أو خبـــار
وظل الطعن في الخيلـــين خلســـا كأن المـوت بينهمـــا اختصـــار
فلـــزهم الطـــــراد إلى قتـــــال أحـــد سلاحهـــم فيه الفـــرار
مضوا متسابقي الأعضاء فيـــــه لأرؤسهـــم بأرجلهـــم عثـــار
إذا صرف النهار الضوء عنهـــم دجا ليـلان ليـــل و الغبـــار
وإن جنح الظلام انجاب عنهـــم أضـــاء المشرفيـــة و النهـــار
يبكي خلفهـــم دثـــر بكـــاه رغـــاه أو ثـــواج أو يعـــار
غطا بالعثير البيـــداء حتـــى تحيـرت المتالـــي و العشـــار
وجيش كلما حـاروا بـــأرض وأقبـــل أقبلـــت فيـــه تـــحار

كأن شعاع عين الشمس فيـــــــــه ففي أبصارنـا منـه انكســـــــار
من بعد ما كان ليلي لا صباح لـــه كأن أول يوم الحشـر آخـــــــره
غاب الأمير فغاب الخير عن بلـــــد كادت لفقد اسمه تبكي منابـره
قد اشتكت وحشة الأحياء أربعة وخبرت عن أسى الموتى مقابره
دخلتها وشعاع الشمـــس متقـــــد ونور وجهك بين الخلق باهـــرة
في فيلق من حديد لو قذفت بـــــه صرف الزمان لما دارت دوائـره
تمضي المواكب و الأبصار شاخصة منها إلى الملك الميممون طائـــره
قد حزن في بشر في تاجـه قمـــــر في درعه أسد تدمي أظافـــره
حلـــو خلائقـــه شـــوس حقائقـــــه تحصى الحصى قبل أن تحصى مآثره
تضيق عن جيشه الدنيا ولو رحبت كصدره لم تبن فيها عساكـــــره
إذا تغلغل فكر المرء في طـــــــرف ممن مجده غرقت فيه خواطـــره
تحمي السيوف على أعدائه معـــــه كأنهـــن بنـــــوه أو عشائـــــره
إذا انتضاها لحرب لم تدع جســـدا إلا و باطنه للعيـــن ظاهـــــره
فقد تيقـــن أن الحـــق في يـــــده و قد وثقـن بأن الله ناصـــــره
تركن هام بني عـــــوف و ثعلبـــــة على رؤوس بلا ناس مغافـــره
غخاض بالسيف بحر الموت خلفهم وكان منه إلى الكعبين زاخـــره
حتى انتهى الفرس الجاري وما وقعت في الأرض من جثث القتلى حوافره
كـــم من دم رويـت منـــه أسنتـــــــه ومهجـــــة ولغـت فيهـــا بواتـــره

تباعد ما بين السحاب وبينـــــه فنائلها قطـــر و نائلـــــه غمـــــر
ولو تنزل الدنيا على حكم كفـه لأصبحت الدنيا وأكثرهـــــا نزر
متى ما يشر نحو السماء بوجهه تخر له الشعرى وينخسف البدر
تر القمر الأرضي و الملك الذي له الملك بعد الله و المجد و الذكر
هم الناس إلا أنهم من مكـــارم يغني بهم حضر و يحدو بهم سفـــر
بمن أضرب الأمثال أم من اقيسه إليك و أهل الدهر دونك و الدهر
أمجاور الديماس رهن قـــــرارة فيها الضياء بوجهـــه و النـــــور

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن الكواكـــب في التراب تغـــــور
ما كنت آمل قبل نعشـــــك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسيـــر
خرجوا به و لكل بـــــاك خلفـــــه صعقات موسى يوم دك الطـــــور
و الشمس في كبد السماء مريضـــة و الأرض واجفة تكـــــاد تـــمور
وحفيف أجنحة الملائك حولـــــــه وعيون أهل اللاذقيـــــة صـــــور
حتى اتوا جدثـــا كأن ضريحـــــه في قلب كـــل موحـــــد محفـــور
بمزود كفن البلـــــي من ملكـــــه مغف وإثمـــــد عينـه الكافـــور
فيه الفصاحة و السماحة و التقـى و البأس اجمع والحجـى و الخيـــر
كفل الثناء له بـــــرد حياتـــــه لما انطـــــوى فكأنـــه منشـــور
وكأنما عيسى ابن مريـــم ذكـــــره وكأن عازر شخصـــه المقبـــور
يبكي عليه وما استقر قـــــــراره في اللحد حتـــى صافحتـه الحـــور
صيرا بني إسحاق عنه تكرمـــــا إن العظيم على العظيم صبـــــور

فلكل مفجوع سواكـــم مشبـــــه ولكل مفقود ســـــواه نظيـــــر

فأعيذ إخوته بـــــرب محمـــــد أن يحزنوا و محمـــــد مســـرور

أو يرغبوا بقصورهم عن حفـــــرة حياه فيهـــا منكـــــر ونكيـــر
نفر إذا غابت غمود سيوفهـــــم عنها فآجـــال العبـــاد حضور
وإذا لقوا جيشـــــا تيقن أنـــه من بطن طير تنوفـه محشـــــور
لم تثـــن في طلب أعنة خيلهـــم إلا وعمـــر طريـدهـــا مبتـــور
تدمي خدودهم الدموع وتنقضي ساعات ليلهـم وهـــن دهـــور

ملك تصور كيف شاء كأنـــــما يجري بفصل قضائـــــه المقـــدور

برجاء جودك يطـــرد الفقـــــر وبأن تعـــادي ينفـــذ العمـــــر
فخر الزجاج بأن شربت بـــــه وزرت على من عافهـــا الجمـــر
وسلمت منها و هي تسكرنـــــا حتى كأنـــك هابـــك السكـــر
ما يرتجـي أحـــد لمكرمـــــة إلا الالـــــه وأنت يـــا بـــــدر

وقلة ناصر جوزيت عنـــــــى بشر منـــك يا شـــر الدهـــور
عدوى كل شيء فيك حتـــــى لخلت الأ كـــم موغرة الصـــدور

ووقت وفي بالدهر لي عند واحـــد و في لي بأهليـــة وزاد كثيـــرا
شربت على استحسان ضوء جبينه وزهر ترى للمـــاء فيـه خريـــرا
غدا النـــاس مثليهم بـــه لاعدمتـــه وأصبح دهـــري في ذراه دهـــورا

أطاعن خيلا من فوارسها الدهـر وحيدا وما قولي كذا و معي الصبر
وأشجع مني كل يـــوم سلاممـــتي وما ثبتت إلا و في نفسهـــا أمـــر
تمرست بالآفات حتـــى تركتهـــا تقول أمات الموت أم ذعـــر الذعـــر
وأقدمـت إقدام الاتى كـــان لي سوى مهجتي أو كـــان لي عندها وتر
وكم من جبال جبت تشهد أنني الجبال و بحر شاهـــد إنـــني البحـــر
وخرق ماكن العيـــس منه مكاننـــا من العيس فيه واسط الكور و الظهر
يخـدن بنا في جـــوزه وكأننـــا على كرة أو أرضـه معنـــا سفـــر
ويـــوم وصلنـــاه بليـــل كأنـــما على أفقـــه من برقـــه حلـل حمـــر
وليـــل وصلنـــاه بيوم كأنـــمـــا على متنه من دجنـــه حلل خضـــر
وغيث ظننـــا تحتـــه أن عامـــرا علا لم يمت أو في السحاب له قبـــر
أو ابن ابنه الباقي على بن أحـــمد يجود به لو لم اجز ويـــدي صفـــر
وإن سحابا جوده مثـــل جـــوده سحاب على كل السحاب له فخـر
فتى لا يضم القلب هـــمات قلبـه ولو ضمها قلب لما ضمـــه صـــدر
و لا ينفع الإمكـــان لولا سخـــاؤه وهل نافع لولا الأكف القنا السمـــر

قران تلاقى الصلت فيه وعامـــــــر كما يتلاقى الهندواني و النصـــــــر
فجا آ به صلت الجبيـــــن معظمـــــا ترى الناس قلا حولــه وهم كثـــــر
مفدي بآبآء الرجال سميذعـــــــــا هو الكرم المد الذي ماله جـــزر
وما قلت من شعر تكاد بيوتـــه إذا كتبت يبيض منورها الحبـر
كان المعاني في فصاحة لفظـهـــا نجوم الثريا او خلائقك الزهـــــر
وجنبني قرب السلاطين مقتهـــا وما يقتضيني من جماجمها النسر

نافست فيه صورة في ستـــــره لو كنتهـــا لخفيـــت حتى يظهـرا
لا تترب الأيدي المقيمة فوقـــــه كسرى مقام الحاجبين وقيصـــرا
يقيان في احد الهوادج مقلـــــــة رحلت فكان لها فؤادي محجرا
ولو استطعت إذ اغتدت روادهم لمنعت كل سحابة أن تقطـــــرا
يتكسب القصب الضعيف بكفـه شرفا على صم الرماح ومفخرا
ويبين فيما مس منـــــــه بنانـــــه تيه المدل فلو مشى لتبختـــــرا
يا من إذا ورد البـــلاد كتابـــــــه قيل الجيوش ثنى الجيوش تحيـرا
ورسائل قطع العداة سحاءهـــــا فرأوا قنا وأسنـــة و سنـــورا
فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا ودعاك خالقك الرئيس الأكبـــرا
خلقت صفاتك في العيون كلامـه كالخط يملأ مسمعي من أبصـرا

بدرت إليك يد الزمـــان كأنهـــا وجدته مشغول اليدين مفكـــــــرا
من مبلغ الأعـــراب أنى بعدهـــا شاهدت رسطاليس و الإسكندرا
ولقيت كل الفاضليـــن كأنمـــــا رد الإلــه نفوسهـــم و الأعصـــــرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدمـــا وأتى فذلك إذ أتيت مؤخـــــــرا
زحل على أن الكواكب قومـــه لو كان منك لكان أكـــرم معشـــرا

قافية الزاي

حملته حمائل الدهر حتـــــــــى هي محتاجـــــه إلى خـــــــراز
وهولا تلحق الدماء غراريـــــه ولا عرض منتضيه المخـــــــازي
يا مزيل الظلام عني وروضـــــى يوم شربي ومعقلي في البـــــــراز
واليماني الذي لو اسطعت كانت مقلتي غمـــــــده من الإعـــــزاز
سله الركـــــض بعـــدوه بنجـــد فتصدى للغيث أهـــل الحجـــاز
نفسه فوق كل أصل شريـــــف ولو أنى له إلى الشمـــس عـــازى
تقضم الجمر و الحديد الأعـــادي دونه قضـــم سكـــــر الأهـــواز

قافية السين

خريدة لو رأتها الشمس ما طلعت ولو رآها قضيب البـــان لم يمـــس
لو كان فيض يديه ماء غاديـــــــــه عز القطا في الفيافي موضع اليبس
أكارم حسد الأرض السماء بهـــم وقصرت كل مصر عن طرابلـــس

أي الملوك – وهو قصدي – أحاذره وأي قرن وهو سيفي وهم ترسي

إن كنت ظاغنة فـــــإن مدامعـــــي تكفي مزاد كم وتروي العيســـــا
بشر تصور غايـــــــــــة في آيـــــــة تنفي الظنون و تفسد التقييســـــا
وبه يضن على البريـــــة لا بـــــها وعليه منها لا عليها يوســـــى
لو كان ذو القرنين اعمـــــل رأيـــــه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفـه في يوم معركة لأعيا عيســـــى
أو كـــان لج البحـــــر مثل يمينـــــه ما انشق حتى جاز فيه موسى
أو كان للنيران ضـــوء جبينـــــه عبدت فصار العالمون مجوســـا
لما سمعت به سمعـــت بواحـــــد ورأيته فرأيـــت منـه خميســـا
ولحظت أنمله فسلـــــن مواهبـــــا ولمست منصله فسال نفوســـا
يا من نلود من الزمـــــان بظلـــــه أبدا ونطرد باسمـــه إبليســـا
صدق المخبر عنك دونك وصفه من بالعراق يراك في طرسوسا
لو جادت الدنيا فدتك بأهلهـــــا أو جاهدت كتبت عليك حبيسا

قافية الشين

فإن الفارس المنعوت خفـــــــت لمنصله الفـــــوارس كالريـــــاش
كأن على الجماجم منه نـــــــارا وأيدي القوم أجنحـــة الفـــــراش
ورائعهـــا وحيـــــد لم يرعـــــــه تباعد جيشـــــه والمستجـــــاش
كأن تلوى النشـــــــاب فيـــــــه تلوى الخوص في سعف العشـــاش

قافية الضاد

سلام الذي فوق السموات عرشه تخص به يا خير ماش على الأرض

قافية العين

يطمع الطير فيهم طول أكلهـــــــــم حتى تكاد على احيائهم تقـــــــع
ولـــــــو رآه حواريوهـــم لبنـــــوا على محبته الشرع الذي شرعـــوا
كأنهـا تتلقاهـــم لتسكهـــــــــم فالطعن يفتح في الأجواف ما تسع

تهدي نواظرها والحرب مظلمـــة من الأسنة نار والقنا شمـــــــــع
تغدو المنايا فلا تنفك واقفـــــة حتى يقول لها عـــودي فتندفـــــع
ولو حملت صم الجبال الذي بنـــا غداة افترقنا أوشكـــت تتصـــدع
فتى الف جزء رأيه في زمانـــــه أقل جزيئ بعضـــه الـــرأى أجمـــع
ألا أيها القيـــــــل المقيـــم بمنبج وهمته فـــوق السماكيـــن توضـــع
اليس عجيبا أن وصفك معجـــز وأن ظنوني في معاليـــك تظلـــــع
وأنك في ثوب و صدرك فيكمـــا على أنه من ساحة الأرض أوســع
وقلبك في الدنيا ولو دخلت بنـــا و بالجن فيه ما درت كيف ترجـــع

أو ما وجدتم في الصراة ملوحـة مما ارقـــرق في الفرات دموعـــي
منعمـــــــة ممنعـــــــة رداح يكلف لفظها الطير الوقوعـــــــا
بعيد الصيت منبث السريـــــا يشيب ذكره الطفل الرضيعـــــا
إن استجرأت ترمقه بعيـــــدا فأنت أسطعت شيئا ما استطيعا
فلا عزل وأنت بلا ســـــلاح لحاظـــك ما تكـــون به منيعـــا
لو استبدلت ذهنك من حسام قددت به المغافـر و الدروعـــا
لو استفرغت جهدك في قتـال اتيت به على الدنيا جميعـــــا
سمـوت بهمـــــة فتسمـــــو فما تلفـى بمرتبـــة قنوعـــا
وهبك سمحت حتى لا جواد فكيف علـوت حتى لا رفيعـــا

قائمة المصادر و المراجع

1. المصـــــادر
2. المراجع الأساسية
3. المراجع الحديثة
4. المعاجـــــم
5. الرسائل الجامعية
6. المجـــــلات

أولا : المصادر

المتنبي ، أحمد بن الحسين
1. الديوان. شرح عبد الرحمان البرقوقي. دار الكتاب العربي. بيروت .1986م.1407هـ
أبو نواس ، الحسن ابن هانئ
2. الديوان. تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي. دار الكتاب العربي بيروت. دون تاريخ
ابن هاني ، أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي
3. الديوان . دار صادر دون تاريخ.

ثانيا : المراجع الأساسية

ابن أبي سلمى ، زهير
1. الديوان. اعتنى به وشرحه حمدو طماس. دار المعرفة. بيروت 1423 هـ ، 2003 م. ط1
الأصفهاني، أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن.
2. الواضح في مشكلات شعر المتنبي. تحقيق محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر ، تونس. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. 1986. ط2.
الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب
3. إعجاز القرآن. تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر. مؤسسة الكتـــاب الثقافية. ط1. 1990 م ، 1411 هـ
التفتازاني ، سعد الدين
4. مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني. ضمن شروح التلخيص. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر.
ابن ثابت ، حسان
5. الديوان.شرح أحمد فاضل.دار الفكر اللبناني. بيروت.دون تاريخ.
الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري
6. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر. بيروت. ط 2 . 1393 هـ ، 1973 م.
الجاحظ ، عمرو بن بحر
7. البخلاء. تقديم و تحقيق المحامي فوزي عطوي. الشركة اللبنانية للكتاب. بيروت. دون تاريخ.
8. الحيوان. تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت. 1416 هـ ، 1996 م.
9. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. 1990.ط 5

10. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. مصر ومكتبة المثنى. بغداد 1381 هـ ، 1961 م. ط 2 .في داخل الكتاب مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـــر 1380 هـ ، 1960.

الجرجاني ، القاضي علي بن عبد العزيز

11. الوساطة بين المتنبي وخصومه. تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. منشورات المكتبة العصرية. لبنان. دون تاريخ.

ابن جعفر ، قدامة

12. نقد الشعر. تحقيق كمال مصطفى. مكتبة الفانجي. القاهرة. ط .3

13. ظواهر الألفاظ. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط 1 . 1979 م.

الحموي ، ابن حجة

14. خزانة الأدب وغاية الأرب. شرح عصام شعيتو. دار مكتبة الهلال. بيروت. ط1 . 1987

ابن الخطيب ، لسان الدين

15. الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي. 1394هـ ، 1974م. القاهرة.

ابن خفاجة ، أبو اسحاق ابراهيم

16. الديوان. تحقيق السيد مصطفى غازي. منشأة المعارف الإسكندرية. 1960.

الخفاجي ، ابن سنان

17. سر الفصاحة. دار الكتب العلمية. بيروت .ط1. 1402 هـ ، 1982 م.

ابن خلدون ، عبد الرحمان

18. المقدمة. دار الفكر العربي. بيروت .ط1. 1997.

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي المصري

19. جمهرة اللغة. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد لصاحبها محمد الرجب. ط 1 . 1351 هـ

الدسوقي

20. حاشية الدسوقي على شرح السعد. ضمن شروح التلخيص. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر.

ابن رشيق ، القيرواني أبو علي الحسن

21. العمدة في صناعة الشعر ونقده. تحقيق وشرح مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت . ط 1 .1983 م.

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله

22. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. دار المعرفة. بيروت. ط2. دون تاريخ.

الزمخشري ، أبو القاسم

23. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الفكر للطباعة والنشر. دون تاريخ.

السبكي ، بهاء الدين
24. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ضمن شروح التلخيص. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر.
السجلماسي ، أبو القاسم
25. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع. تقديم وتحقيق علال الغازي. مكتبة المعارف. الرباط 1401 هـ ، 1980 م . ط 1.
سركين ، فؤاد
26. تاريخ الثراث العربي. الشعر. ترجمة د/ عرفة مصطفى. وزارة التعليم العالي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. المملكة العربية السعودية. 1401هـ ، 1984م.
ابن شداد ، عنترة
27. الديوان. اعتنى به وشرحه حمدو طماس. دار المعرفة. بيـروت.1423 هـ ، 2003 م. ط 1.
الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم
28. الملل والنحل. تحقيق محمح فريد. المكتبة التوفيقية. القاهرة. دون تاريخ.
ابن طباطبا ، محمد ابن طباطبا العلوي
29. عيار الشعر. تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع. مطبعة المدى. المؤسسة السعودية بمصر. توزيع مكتبة الخانجي بالقاهرة.
الطبري ، محمد بن جرير
30. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار الفكر. بيروت. 1405. عن القرص المضغوط مكتبة العقائد والملل. الإصدار 1.5 .1419 هـ ، 1999 م. إعداد الخطيب للتسويق والبرامج عمان. الأردن. الإشراف العلمي التراث مركز لأبحاث الحاسب الآلي.
العباسي ، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد
31. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. عـــالم الكتب. بيروت. 1947 م.
العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله
32. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق علي محمد البجاوي. محمد أبو الفضل ابراهيم. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. 1406 هـ .
العلوي ، يحي بن حمزة
33. كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز.
أبو الفرج ، عبد الرحمان بن علي بن محمد
34. تلبيس إبليس. دار الكتاب العربي. بيروت. 1405 هـ . 1985 م. ط 1. تحقيق السيد الجميلي. عن القرص المظغوط العقائد والملل.
ابن قتيبة ، الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم
35. تأويل مشكل القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. 1954.
القرطاجني ، حازم

36. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب بن فوجة. دار الكتب الشرقية. تونس 1964.
القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر
37. الجامع لأحكام القرآن. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة.1387 هـ ، 1967 م. مصورة عن طبعة دار الكتب.
القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب
38. التلخيص في علوم البلاغة. ضبط وشرح عبد الرحمان البرقوقي. المكتبة التجارية الكبرى مصر. 1350 هـ ، 1932 م. ط 2.
المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد
39. الكامل. علق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم. دار نهضة مصر للطبع والنشر. الفجالة. دون تاريخ.
المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد و السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمان بن أبي بكر
40. تفسير القرآن العظيم. دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه.
المراكشي ، ابن البناء العددي
41. الروض المريع في صناعة البديع. تحقيق رضوان بن شقرون. دار النشر المغربية. الدار البيضاء. 1985.
المرتضي ، الشريف
42. أمالي المرتضى. غرر الفوائد ودرر القلائد ــ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة.1954.
المرزوقي ، أبو علي
43. شرح ديوان الحماسة. تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون. القاهرة. 1951.
المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى
44. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر. تحقيق علي محمد البجاوي. دار نهضة مصر.1965.
ابن المعتز ، عبد الله
45. كتاب البديع. اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشكوفسكي. دار المسيرة. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب. ط 2. 1399 هـ ، 1979 م.
المغربي ، ابن يعقوب
46. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح. ضمن شروح التلخيص. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر.
ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن علي
47. البديع في البديع نقد الشعر. تحقيق علي مهنا. دار الكتب العلميـــة. بيـــروت .ط 1. 1407 هـ ، 1987 م.
ابن نباتة ، جمال الدين المصري

48. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا ، بيروت . 1406 هـ ، 1986 م.
ابن وهب ، إسحاق الكاتب
49. البرهان في وجوه البيان. تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي. جامعة بغداد.1967.ط1

ثالثا : المراجع الحديثة

أدونيس ، علي أحمد سعيد
1. الثابت والمتحول بحث في الاتباع والإبداع عند العرب. الكتاب الثاني تأصيل الأصول. دار العودة. بيروت . 1983. ط 4.
الأسمر ، راجي
2. علوم البلاغة. الموسوعة الثقافية العامة. إشراف. اميل يعقوب. دار الجيـــل. بيروت. 1420 هـ ، 1999 م. ط 1.
الألباني ، محمد ناصر الدين
3. صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند. إشراف زهير الشاويش. مكتبة التربية العربية لدول الخليج. ط 3 . 1408 هـ ، 1988 م.
4. صحيح سنن النسائي باختصار السند. صحيح أحاديث محمد ناصر الدين الألباني. إشراف زهير الشاويش. مكتبة التربية العربية لدول الخليج. ط 1 . 1408 هـ ، 1988 م.
الأيوبي ، ياسين
5. المتنبي في عيون قصائده. المكتبة العصرية. 1423هـ ، 2002م. ط1.
إسماعيل ، عز الدين
6. التفسير النفسي للأدب. دار العودة. بيروت. ط 4 . 1981.
بدوي ، أحمد أحمد
7. أسس النقد الأدبي عند العرب. مكتبة نهضة مصر. الفجالة .ط 3 .1964.
8. من النقد و الأدب. (المجموعة الرابعة). مكتبه نهضة مصر. الفجالة. دون تاريخ.
البهبيتي ، نجيب محمد
9. تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري .دار الفكر مكتبة الخانجي . دون تاريخ.
الجابري ، محمد عابد
10. بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. لبنان. 2000 .ط 6 .
الجوزو ، مصطفى
11. نظريات الشعر عند العـــرب. (الجاهلية والعصور الإسلامية). دار الطليعـــة للطباعـــة و النشر. ط 1 . 1402 هـ ، 1981 م.

الجويني الصاوي ، مصطفى
12. البديع لغة الموسيقى والزخرف. منشأة المعارف الاسكندرية. دون تاريخ .
أبو حاتم ، نبيل خليل
13. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري من خلال يتيمة الدهر. دار الثقافة. الدوحة. 1405 هـ ، 1985 م.
الحاجري ، طه
14. مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية. دار النهضة العربية.1983. ط 3.
حاوي ، إيليا
15. فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب. دار الثقافة. بيروت. دون تاريخ.
حسن ، إبراهيم
16. تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب. مكتبة النهضة المصرية. مصر 1964. ط3.
حسين ، طه
17. حديث الأربعاء. دار المعارف. مصر. ط9. 1968.
حسين ، عبد القادر
18. فن البديع. دار الشروق. دون تاريخ.

أبو حمدان ، سمير
19. الإبلاغية في البلاغة العربية . منشورات عويدات الدولية . بيروت .باريس. 1991 . ط1
ابن درع ، عبود بن علي
20. ظاهرة الغلو في الدين الأسباب والمظاهر والعلاج. دار الصميعي للنشر و التوزيع الرياض. المملكة العربية السعودية .ط 1 . 1419 هـ ، 1998 م.
دوب ، رابح
21. البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري. دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة. ط 1 . 1997 .
الدوري ، عبد العزيز
22. الجذور التاريخية للشعوبية . دار الطليعة. بيروت. 1981. ط 3.
سلام ، محمد زغلول
23. أثر القرآن في تطور النقد العربي حتى آخر القرن الرابع الهجري. دار المعارف. مصر. ط .3
24. النقد العربي الحديث. مكتبة الأنجلو المصرية. دون تاريخ.
سلطان ، منير
25. البديع تأصيل وتجديد. منشأة المعارف الإسكندرية. جلال جزي وشركاه. 1986 م.
سمرة ، محمود

26. القاضي الجرجاني الأديب الناقد. منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. 1979. ط 2.
سويدان ، سامي
27. في النص الشعري العربي. مقاربات منهجية. دار الآداب. 1999. ط 2.
سويف ، مصطفى
28. الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة. دار المعارف. مصر.
الصاوي ، أحمد عبد السيد
29. مفهوم الإستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين. دراسة تاريخية فنية. منشأة المعارف الإسكندرية. 1988.
ضيف ، شوقي
30. البلاغة تطور وتاريخ. دار المعارف. مصر. ط .2
31. الفن ومذاهبه في الشعر العربي. دار المعارف. مصر. ط 8.
طبانة ، بدوي
32. البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى. مكتبة الأنجلو مصرية. القاهرة. ط 6 . 1396 هـ ، 1976 م.
33. النقد الأدبي عند اليونان. مكتبة الأنجلومصرية. الطبعة الأولى . 1387 هـ ، 1967.
عباس ، إحسان
34. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري. دار الثقافة. بيروت. ط 5 . 1406 هـ ، 1986 م.
35. تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري. دار الشروق. ط 2 المنقحة . 1997.
عبد الله ، محمد حسين
36. الصورة والبناء الشعري. دار المعارف. القاهرة. مكتبة الدراسات الأدبية. دون تاريخ.
عتيق ، عبد العزيز
37. في البلاغة العربية. علم المعاني. البيان. البديع. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. دون تاريخ.
38. في النقد الأدبي. دار النهضة العربية. بيروت. 1391 هـ ، 1972 م . ط 2.
العشري ، محمد رياض
39. التصوير اللغوي عند الاسماعيلية. دراسة في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي. منشأة المعارف الاسكندرية. 1985 .
عصفور ، جابر
40. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. المركز الثقافي العربي. بيروت.1992. ط3.
العقاد ، عباس محمود
41. أبو نواس الحسن بن هانئ. منشورات المكتبة العصرية. بيروت ، صيدا. دون تاريخ.
عياد ، شكري

42. كتاب أرسطو طاليس في الشعر نقل أبي بشر بن يونس القنائي من الســـــرياني إلى العربي. دار الكتاب العربي للطباعة و النشر. القاهرة 1387 هـــ ، 1967 م .
عيد ، رجاء
43. فلسفة البلاغة. منشأة المعرف الاسكندرية. دون تاريخ.

الفيل ، توفيق
44. القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز. مطبوعات جامعة الكويت.
ابن قاسم ، عبد الرحمان بن محمد العاصمي النجدي
45. مجموع فتاوى شيخ الإسلام محمد بن تيمية. مطابع الرياض. ط 1 . 1381 هـــ
قطب ، سيد
46. في ظلال القرآن. دار إحياء التراث العربي. بيروت ط 3 . 1961.
الكفراوي ، محمد عبد العزيز
47. الشعر العربي بين الجمود والتطور. دار النهضة. مصر للطبع والنشر. الفجالة. القاهرة.
لاشين ، عبد الفتاح
48. بلاغة القرآن في آثارالقاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية. دار الفـــــكر العربي. دون تاريخ.
متز، آدم
49. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام. نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة. الدار التونسية للنشر. تونس. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1405 هـــ ، 1986 م.
المصري ، محمد بن عبد الغني
50. نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي. دار مجدلاوي عثمان. الأردن .ط 1 1407 هـــ ، 1987 م.
مطلوب ، أحمد
51. فنون بلاغية. البيان والبديع. دار البحوث العلمية. الكويت. ط 1 .1395 هـــ ، 1975
المراغي ، أحمد مصطفى
52. علوم البلاغة. البيان والمعاني والبديع. دار إحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة. ط 10 على الغلاف الخارجي ط . 5 في داخل الكتاب. 1992.
مندور ، محمد
53. النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة. مترجم عن الأستاذين لانسون و ماييه. دار نهضة مصر. الفجالة. القاهرة. دون تاريخ.

موافي ، عثمان
54. التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري. مؤسسة الثقافة الجامعية. الإسكندرية. ديسمبر 1973 م.

موسى ، أحمد إبراهيم
55. الصبغ البديعي في اللغة العربية. دار الكتاب العربي للطباعـــة والنشـــر. القاهرة. 1388 هـــ ، 1969 م.
مومني ، قاسم
56. نقد الشعر في القرن الرابع الهجري. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة. 1982.
ناصف ، مصطفى
57. الصورة الأدبية. دار الأندلس. ط 2 . 1401 هـــ ، 1981 م.
نعجة ، فتحي أسعد إسماعيل
58. الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي. دار البشائر عمان الأردن. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان 1461هـــ ، 2000 م. ط1.
الهاشمي ، السيد أحمد
59. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. مطبعة السعادة. مصر 1350 هـــ ، 1931 م.

رابعا : المعاجم

البستاني ، المعلم بطرس
1. محيط المحيط. مكتبة لبنان. بيروت. .1977
2. دائرة المعارف الإسلامية.
نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي. أجمد الشنتاوي. إبراهيم زعي خور شيد. عبد المجيد يونس. 1352-1933.
الزبيدي ، محمد مرتضى
3. تاج العروس من جواهر القاموس. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت .ط1 .1306هـــ.
عبد الباقي ، محمد فؤاد
4. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار ومطابع الشعب. دون تاريخ.
ابن فارس ، أحمد بن زكريا
5. معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام هارون. دار الجيـــل. بيـــروت. ط 1. 1411 هـــ ، 1991 م.
لابلانش ، جان و َ بونتاليس ، ج. ب
6. معجم مصطلحات التحليل النفسي. ترجمة د/ مصطفى حجازي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1405هـــ ، 1985 م. ط1.
ابن منظور الإفريقي ، لسان الدين
7. لسان العرب المحيط .دار صادر. دار بيروت. 1956 م ، 1375 هـــ
وجدي ، محمد فريد
8. دائرة معارف القرن العشرين. دار المعرفة. بيروت. 1971 . ط3 .

خامسا : الرسائل الجامعية

العيس ، مصطفى
1. أثر المتنبي في أعلام الشعر الأندلسي. أطروحة دكتوراه. جامعة حلب. كلية الأداب و العلوم الإنسانية. قسم اللغة العربية. إشراف د / عصام قصيجي. سنة 2000.
عيكوس ، الأخضر
2. ظاهرة البديع في الشعر العربي. دراسة في الوظيفة والمصطلح. أطروحة دكتوراه. إشراف د. مختار بولعراوي. جامعة قسنطينة ، معهد الآداب واللغة العربية .سنة 1416 هـ ، 1995 م
3. الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية. دراسة بلاغية نقدية. رسالة ماجستير. جامعة قسنطينة.

سادسا : المجلات

عيكوس ، الأخضر
1. " مفهوم الصورة الشعرية حديثا ". مجلة الآداب. جامعة قسنطينة. العدد 03 . 1996.
2. "مفهوم الصورة الشعرية قديما ". مجلة الآداب. جامعة قسنطينة. العدد 02 .1995.
3. "ظاهرة انتشار البديع في الشعر العربي ومواقف النقاد والبلاغيين منها ". مجلة كلية الآداب وجدة. المملكة المغربية. العدد 7.

فهرس الموضوعات

الصفحة

المقدمـــــة . . . . . أ

مدخـــــل **1**

- أولا : تعريف الغلو 2
- ثانيا : مصطلحات لها علاقة بالغلو 13
- ثالثا : الغلو و الدين 22

الفصـــل الأول : الموقـــف النقـــدي مـــن الغلو **31**

- أولا : نقاد مع الغلو 33
- ثانيا : نقاد ضد الغلو 45
- ثالثا : نقاد الاعتدال أو اللاموقف 54

الفصـــل الثاني : الدراســـة البلاغيـــــة **67**

- أولا : أسباب الغلو 68
- ثانيا : الغلو عند أرسطو 87
- ثالثا : جماليات الغلو 92

الفصل الثالث : منطلقـــات الغلو النفسيـــــة **106**

- أولا : أبو نواس 107
- ثانيا : المتنبي 127
- ثالثا : ابن هانئ الأندلسي 142

ملحـــق بأبيـــــات الغلو **158**

- أولا : أبو نواس 159
- ثانيا : المتنبي 192
- ثالثا : ابن هانئ الأندلسي 211

الخاتمـــــــة **224**

قائمـة المصـــادر و المراجـــع **229**

فهـــــرس الموضـــوعات **243**